

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤١)	شوال المكرم ١٤٣٠ هـ
العدد العاشر	أكتوبر ٢٠٠٩ م

المشرف على المجلة: الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى

مساعد المشرف: أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صوت الأمة بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهند (١١٠) روبية، ثمن النسخة (١٠) روبيات في الخارج (٣٦) دولار بالبريد الجوي، (١٥) دولار بالبريد العادي

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

الافتتاحية

مجالات الوقف المؤثرة
في الدعوة الى الله تعالى

(الحلقة الخامسة والأخيرة)

الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهري

عناية حكام كشمير بالتعليم:

كان التعليم في كشمير في عهد السلاطين عاما، بدأ هذا العهد من ١٣٣٩م، واستمر إلى ١٥٦١م. إن الحكام والرؤساء كانوا يتنافسون فيما بينهم في نشر العلم ورعاية العلماء، فكانت المدارس تنشأ باستمرار، وكانت الإقطاعات والأوقاف على كل مدرسة، ولذلك وجدت المدارس في جميع القرى والأرياف، وكانت توجد في سرى **نگر** جامعة، وبجانب هذه المؤسسات التعليمية كانت الخوانق أيضا تلعب دورها في تنشيط التعليم.

ومن المواد الدراسية التي تعتني المدارس بتدريسها: التفسير، والحديث، وعلم الكلام، وعلم التوحيد، والفقه، والعلوم الطبيعية بجانب اللغة العربية وقواعدها.

ويحكى عن السلطان الثالث "قطب الدين" أنه أنشأ في عاصمة حكمه الجديدة "قطب الدين **پور**" كلية كان عميدها "**پير** حاجى محمد" وكان بجانبها مسكن للطلاب والمدرس، وكان الأكل يصرف لهم مجانا.

والحكام الذين جاؤا بعد السلاطين، وعرفوا ب "حكام **چك**" ساروا على نفس الطريق، فقد أنشأ حسن شاه مدرسة باسم "دار الشفاء" وأدخل عليها الحاكم حسين شاه تحسينات كثيرة، وكذلك أنشأ كلية وقف عليها المال الحاصل من ضريبة "زين **پور**" وضمت الكلية مكتبة ودار إقامة عليهما أوقاف من الأراضي والعقار.

رؤساء القبائل يبذلون المال: كانت طبقة هؤلاء الرؤساء تلي طبقة السلاطين والملوك، وكان هؤلاء يملكون الأراضي والاقطاعات، ويشغلون مناصب مهمة في الحكومة. وعلى سبيل المثال رعى الرؤساء أهل العلم والأدب، وأنشأوا مباني دينية للعبادة والتعليم، ووقفوا الأموال

والأراضي لتمويل هذه المدارس.

وهذا الخبر عن حكام كشمير يدل على أن الأوقاف الإسلامية بالهند قد لعبت دورامهما في نشر العلم وتشجيع العلماء، وتوجيه الناس.

تسخير المال لخدمة الدعوة: زين العابدين من سلاطين كشمير المعروفين، امتدت فترة حكمه من ١٤٢٠م الى ١٤٧٠م. كان عادلا في حكمه، حاميا للعلم، مكرما للعلماء، يمنحهم العطايا، ويساعدهم بالأموال والأراضي. ومن عنايته بالتعليم أنه أنشأ مدرسة قرب قصره في "نوشهره"، وسدا لنفقات المدرسة، ودعما للطلبة، وقف السلطان إقطاعات في مملكته،وولى أمرها الشيخ "ملا كبير"، وقد بقيت هذه المدرسة إلى القرن السابع عشر الميلادي.

وقد منح السلطان "مدرسة العلوم" في سيالكوت ستمائة ألف روبية، وأعطتها الملكة (زوجة السلطان زين العابدين) عقدها الثمين. وكذلك بنى السلطان مساكن كثيرة للطلبة، فكان الطلاب يسكنون فيها ويأكلون، وهذه الخدمة كانت توفر لهم مجانا.

الجوامع والمساجد:

من مظاهر عناية الملوك المسلمين بالهند بأمر الدين والدعوة: الجوامع والمساجد، يقول الشيخ عبد الحي الحسني:

"اعلم أن الملوك الإسلاميين قد أسسوا الجوامع والمساجد بالهند، ولاتكاد تضبط كثرة، وكذلك الأمراء قد أسسوا في كل بلدة وعمالة وقرية، وبذلوا عليها أموالا طائلة لا يقدر أحد أن يضبط كل ذلك". وبعد ذلك أورد تفصيلا موجزا عن بعض الجوامع والمساجد. (٨١)

وهذه المساجد المنتشرة في أقطار الهند الواسعة، منها مابناه الأغنياء من الشعب، أو تعاون الشعب فيما بينهم فجمعوا المال وبنوا به المسجد الذي يحتاجون له. ولكن عامة المساجد من بناء الملوك والأمراء من الطبقة الحاكمة، وهم الذين أنفقوا الأموال الطائلة في البناء، ثم رصدوا لها الأموال، ووقفوا عليها الأراضي والبيوت لتنظيم أمورها، وتعيين الأئمة والمؤذنين فيها. ومعظم هذه الأوقاف باقية إلى الآن، إلا أن البعض فقدت تأثيرها بسبب التصرفات الخاطئة التي صدرت ممن توارثوا على توليتها.

(٨١) الهند في العهد الإسلامي، ص ٤١٦

ولا يذكر لنا التاريخ تفصيلا عن الأنشطة الدينية التي كانت تجرى في هذه المساجد في الماضي من الدروس والاجتماعات والمذاكرات، ولكننا نعرف جميعا أن الصلوات الخمس والجمع كانت تقام في هذه المساجد، والمسلمون كانوا يجتمعون فيها وقت الصلاة وغيرها.

المساجدوالتدريس: يشير الشيخ أبو الحسنات الندوي إلى دور المساجد في نشر العلم فيقول:

"لم تكن المباني مخصصة للتدريس في العصر القديم، بل كان التعليم يجرى في المساجد في الأغلب، ولذا فإن كل مسجد يعتبر مدرسة كبيرة تستخدم لتعليم العلوم ونشر الثقافة الدينية، وهذا هو سر انتشار المساجد في الهند بكثرة، فالمساجد التي بنيت في مدن دهلى و **آگره ولاهور و جونپور و أحمد آباد و گجرات** من العواصم الإسلامية هندستها البنائية تدل بوضوح على أنها كانت تستخدم للتعليم أيضا، والحجرات الصغيرة التي اكتنفت فناء المسجد كانت تستخدم في الأصل لسكنى الطلاب والمدرسين الذين كانوا يتلقون التعليم في المسجد، وخير مثال لذلك هو المسجد **الفتحپورى** والمسجد الأكبر آبادى في مدينة دهلى، فقدتم بناؤهما في ١٠٦٠هـ، والحجرات التي أنشئت حول فنائهما الواسع كانت في الحقيقة تستخدم لسكنى الطلاب، و أول هذين المسجدين لايزال يؤدي دوره السابق في هذا العصر". (٨٢)

وكانت هذه المساجد تعتبر رمزا للإسلام وقوة للمسلمين، ودلالة على وجود الدين الحق في هذه البلاد، ثم إنها كانت تذكر كل مسلم رسالتها التي كانت تتلخص في الإيمان بالله وبالرسل والكتب التي أنزلها الله تعالى لهداية البشرية وباليوم الآخر الذي يفصل فيه بين الناس وما إلى ذلك من الأمور والأعمال التي يتطلبها الإسلام. إن المساجد على وجه الأرض تذكر بهذه الأمور كلها، وإنها كذلك تعيد إلى المسلم تاريخ الإسلام المشرق، وكيف أن المسلمين استخدموا هذه البقاع الطاهرة المقدسة لعبادة الله وحده، ولنشر دعوة الإسلام وتوجيهات القرآن الكريم والحديث الشريف، وكيف أن أول مسجد في المدينة النبوية كان مركز علم ومصدر إشعاع، و دار قضاء، وملتقى رجال عظام، ومكان استشارة ومركز بحث وما إلى ذلك من الأمور الكثيرة التي تحتاج إليها الأمة في حياتها. ومن هنا تتجلى أهمية هذه المساجد، في الماضي وفي هذا العصر، ولذلك ينبغي أن نبرز دورها في التاريخ الإسلامي الطويل.

---

(٨٢) مدارس الهند، ص ١٥

و ذكر الشيخ أبو الحسنات عن السلطان فيروز شاه تغلق المتوفى ٧٩٠هـ أنه كان عالما، محبا للعلم، مؤلفا، وقد اجتمع في بلاطه كبار العلماء والمؤرخين والشعراء. من حسناته ومآثره أنه بنى مساجد ومدارس كبيرة في عهده، ووقف عليها ألوفا من الروبيات حتى يتم منها الإنفاق على هذه المساجد والمدارس. (٨٣)

وفيما يلي نورد أسماء بعض المساجد الشهيرة التي يتردد ذكرها على الألسنة :

١ – مسجد قوة الإسلام (أوقبة الإسلام) بناه قطب الدين ايبك بمدينة دهلى سنة ٥٨٧ هـ

٢ – الجامع الكبير الذي أسسه سكندر شاه الكشميري ببلدة "**سرى نگر**" سنة ٧٩٥هـ في غاية الحسن والمتانة، وهو من أبدع الأبنية في أرض كشمير.

٣ – الجامع الكبير الذي بناه ابراهيم الشرقي بمدينة "**جونپور**" من الحجارة المنحوتة، وهو يشتهر بمسجد "**اٹاله**" بفتح الهمزة، كان يصلى فيه السلطان الجمعة والعيدين والقاضي شهاب الدين الدولة آبادي يدرس به، وحوله حجرات كثيرة للطلبة.

٤ – الجامع الكبير ببلدة شاهجهان آباد ، بناه شاهجهان ابن **جهانگير** الدهلوي، وأنفق عليه ألف ألف روبية، وهو مما لا نظير له في الدنيا .

٥ – الجامع الكبير الذي بنته نواب جهان آرا **بيگم** بنت شاهجهان ببلدة **آگرا** خارج القلعة من حمر الحجارة المنحوتة، وأنفقت عليه خمسمائة ألف ربية، كما في بادشاه نامة. (٨٤)

مقترحات

عمل الدعوة مهم، وإنه يتم بتخطيط دقيق، وبمراعاة جوانب عديدة. منها ما يتعلق بالدعوة، ومنها ما يتعلق بالداعية، ومنها ما يتعلق بالوسائل.

ومن الوسائل التى تجعل الدعوة موثرة ناجحة: توفير التسهيلات المادية والمعنوية التي تيسر العمل في مجال الدعوة في الداخل وفي الخارج، والضرب بشدة على كل يد تعوق هذا العمل أو تعرقل في سبيلها.

نذكر هنا بعض المقترحات التى لها علاقة بالموضوع، وخاصة بالدعوة إلى الله، وبالوسائل المادية التي تتوقف عليها الدعوة.

(٨٣) الإنجازات الحضارية. ص ٢٦٥　　　(٨٤) الهند في العهد الإسلامي. ص ٤١٦ – ٤٢٥

● التوسع في إقامة الدورات التدريبية والندوات الدينية، ومراكز التوعية الإسلامية لكافة الناس في مختلف الأوقات، والتوظيف الأمثل للمساجد يقضي باتخاذها مراكز دائمة للعبادة وحلقات العلم.

● الإفادة من حصيلة الزكاة والوقف الإسلامي في دعم مؤسسات الدعوة وتمويل نشاطاتها وتشجيع رجالها ورعاية طلابها.

● الدعوة إلى انشاء صندوق عالمي للدعوة الإسلامية تشارك في تمويله الهيئات والمؤسسات المالية وأثرياء المسلمين لدعم الدعوة إلى الله بالنهوض بمطالبها المتطورة، وبخاصة في الأمور التالية:

إنشاء مراكز للمعلومات ولتعليم اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية ومراكز لبحوث الدعوة ومراكز لإعداد الدعاة وتدريبهم، ومراكز للترجمة والنشر بمختلف اللغات، وإنشاء مؤسسات إعلامية إسلامية، و توفير الحوافز المالية الكريمة للدعاة وطلاب الدعوة .

● إنشاء مشروعات استثمارية لمؤسسة الدعوة أو للمساهمة مع غيرها من المؤسسات أو الشركات و رجال الأعمال في مشروعاتهم، وذلك من أموال الوقف أو حصيلة التبرعات النقدية، على أن تنشأ إدارة خاصة للموارد والاستثمار في داخل مؤسسات الدعوة تتولى إعداد خطة لجمع التبرعات، والإشراف على استثمارها، والإنفاق من عوائدها.

● دعوة بعض الدول الإسلامية وأهل الخير و مؤسسات مالية وشركات استثمار في داخل العالم الإسلامي للمشاركة في مشروعات مؤسسات الدعوة التي تقوم بها لإنفاقها على نشاط الدعوة و تمويل خططها. و يمكن أن توقف هذه المشروعات بعد قيامها ونجاحها على مؤسسة الدعوة للأغراض التي يحددها الواقف، وتلتزم بتنفيذها المؤسسة.

● إنشاء كليات للإعلام الإسلامي، وكذلك أقسام للإعلام الإسلامي تتبع الكليات المناسبة لإعداد رجل الإعلام المسلم الصالح الذي يستطيع أن يمد هذا الجهاز الخطير من المعين الإسلامي الصافي.

● دعم الصحافة الإسلامية الهادفة، وكذلك وكالات الأنباء الإسلامية والإذاعات الإسلامية المتخصصة. وإنشاء مطابع حديثة كاملة تصدر الكتب الإسلامية والنشرات الإعلامية مع استئجار مساحات في الصحف الأجنبية لنشر الدعوة الإسلامية عن طريقها.

● إصدار صحف دورية متخصصة في كل دولة إسلامية تعرض لمشكلات العالم الإسلامي و تدافع عن قضاياه، و تبرز المظالم الواقعة على المسلمين المضطهدين بعامة والأقليات المسلمة بوجه خاص .

● الاهتمام الزائد بالمسجد وإمامه علميا وأدبيا وماديا، وإقامة دورات لهم بما يجعلهم موضع القدوة للمجتمع كله. وبذل العناية بتمويله بتبرعات أغنياء المسلمين وبالأوقاف التي يقفها المسلمون على المساجد.

● توصية القائمين على المدارس الإسلامية في إفريقيا وغيرها بإنشاء أقسام مهنية يتدرب فيها الطلاب على بعض الحرف والصناعات التي تمكنهم من كسب رزقهم مع اشتغالهم بالدعوة إلى الله بعد التخرج.

● إنشاء مجلس عالمي للدعوة الإسلامية، والسعي لأن نجمع من سراة المسلمين رأس مال يقدر بمليار دولار توظف في استثمار حلال، وينفق من ريعه على احتياجات الدعوة في الشرق والغرب، نحمل الكل، ونكسب المعدوم، ونعين على نوائب الدهر، ونقدم الطعام للجائع، والكساء للعاري، والمأوى للطريد، والأمن للخائف، والعلاج للمريض، والعلم للجاهل، حتى لا يظن ظان أن المسلمين لا يحملون هموم البشرية، ولايرغبون في الأعمال الخيرية.

● وضع خطة دقيقة شاملة للحفاظ على الأوقاف الإسلامية في البلاد التي يعيش فيها المسلمون أقلية؛ لأن عناصر الشر والفساد في مثل هذه البلاد يسعون دائما للسيطرة على الأراضي الموقوفة وعلى ما يتبعها من المباني، والقانون العلماني قد يساعدهم في أهدافهم، لأنه لا ينظر إلى ناحية الأوقاف الدينية بل يعتبرها مثل عامة الممتلكات.

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا البحث، والله تعالى نسأل أن يوفق المسلمين لتنظيم شئون الدعوة إلى الله وتنشيطها، ويجعلهم قادرين على استثمار الأموال الموقوفة، وإنفاقها في تمويل المشاريع التي تدر على الأمة بالخير، وتحقق أهداف الإسلام، وتجمع شمل المسلمين، و صلى الله على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

● ● ●

خلاصة البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه

أجمعين ، وبعد :

فإن البحث الذي ألفته عن: (مجالات الوقف المؤثرة في الدعوة إلى الله) قد تضمن تمهيدا بينت فيه أهمية الموضوع، وشكرت القائمين المؤتمر، ونوهت بموقف المملكة العربية السعودية في القيام بالأعمال الخيرية وتنظيم شئون الدعوة، ثم تطرقت إلى الوقف، فأشرت إلى تاريخه، وذكرت معناه في اللغة وفي الاصطلاح، ثم أوردت تعاريف الفقهاء للوقف، وذكرت التعريف المختار منها، وأشرت إلى نظرة الإسلام إلى المال لتتضح المقاصد التي يقصدها الإسلام من تشريع الوقف، ثم أجملت القول في المؤسسات الدعوية، وكيف أنها تحتاج إلى المال وإثارة لهمم الناس وعزائمهم في سبيل الخير، ذكرت موقف الأمم الأخرى من المال واستخدامهم له في تحقيق أهدافهم، وأشرت إلى شمول أهداف الوقف، وكيف أن الوقف يغطي حاجات الفقراء والمساكين، وفي الوقت نفسه يساعد في إنجاز الأعمال الخيرية الأخرى. وهنا التفت إلى تاريخ حكام المسلمين بالهند، فذكرت موجزا عن عناية هؤلاء الحكام بالأعمال الخيرية بصفة عامة، ثم أوردت بعض التفاصيل عن مساهمتهم في إنشاء المستشفيات، وتخصيص الأوقاف لها من الأراضي والعقارات والأدوية والعقاقير .

وكذلك أبرزت عنايتهم بالعلم والثقافة، وذكرت بعض المكتبات العامة التي أنشأوها حبا في تعميم الوعي الثقافي بين العلماء وعامة الشعب .

وبعد ذلك تكلمت عن المدارس الدينية التي بنيت في مختلف العصور بالهند ، ووقفت عليها أوقاف كبيرة من الحكام والسلاطين الذين أحبوا نشر العلم ، وأكرموا العلماء ، واهتموا بالطلبة المتفرغين لتحصيل العلم .

وبعد المدارس أشرت إلى المساجد أيضا التي بنيت في بلاد الهند ، ونوهت بالدور الذي لعبته هذه المساجد في تثقيف الناس بالثقافة الدينية والثقافة العامة ، سوى أداء الصلوات الخمس والجمع فيها .

وفي ختام البحث ذكرت بعض المقترحات التي رأيتها مناسبة للموضوع ، أي المقترحات التي تتعلق بالدعوة إلى الله تعالى، أو بالوقف الإسلامي الذي لعب دورا كبيرا عبر التاريخ الإسلامي في نشر الدعوة والعلم وإعانة الفقراء والمحتاجين، وهكذا جاءت نهاية البحث، والله تعالى أسأل أن يعصمنا من الزلل، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .●●●

العقيدة الاسلامية

شيخ الإسلام ابن تيمية يحذّر من التكفير

بقلم الأستاذ طارق العيسى
الكويت

إن مسألة تكفير المسلم من المسائل الخطيرة التي طالما زلت فيها أقدام، وضلت فيها أفهام، وقد بين شيخ الإسلام العلامة المجدد ابن تيمية – رحمه الله – من خلال مؤلفاته الكثيرة، التي بلغت خمس مائة مجلد، منهج أهل السنة والجماعة من هذه المسألة، فقال رحمه الله: " ...... ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة ......

دماء المسلمين

والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، ولا تحل إلا بإذن الله ورسوله، قال النبي ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع: " إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا " متفق عليه.

وقال ﷺ: " كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه " رواه مسلم.

وقال ﷺ: " من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله " رواه البخاري.

وقال: " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار " قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه " متفق عليه.

وقال: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " رواه البخاري ومسلم.

وقال: " إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما " رواه البخاري ومسلم.

وقد حذر شيخ الإسلام من التكفير بغير دليل ولا علم، وأكد أنه لا ينبغي إطلاق التكفير والتفسيق على أحد بمجرد الهوى أو بقياس عقلي، بل هما حق لله ورسوله، وإلى هذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: " إن التكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله، ليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله وتحريم ما حرمه الله ورسوله".

أحكام شرعية

وقد فرق بين الأمور التي تعرف عن طريق الشرع والأمور التي تعرف بالعقل، فقال: "فإن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل، فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا". كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلما، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة .. والشقي من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها .. والحلال ما حلّله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله" (مجموع الفتاوى: ٥/٥٤٥).

وبيّن أن مذهب أهل السنة والجماعة عدم تكفير كل من خالفهم وإن كان مكفّرا لهم، وأن طريقة أهل البدع تكفير كل من خالفهم واستحلال دمه، فقال في ذلك: ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالا يجعلونها واجبة في الدين، بل يجعلونها من الإيمان الذي لابد منه، ويكفرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والسبئية والمعتزلة وغيرهم.

وأهل السنة لا يبتدعون قولا ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفا لهم، مكفرا لهم، مستحلا لدمائهم، كما لم يكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما، ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم. (الفتاوى ٥/٩٥)

أهل الجماعة

وقال رحمه الله تعالى: " وأئمة أهل الجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به مواققين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون مع

من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (المائدة: ٨) ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون الدين كله لله.

فالمؤمنون أهل السنة يقاتلون في سبيل الله، ومن قاتلهم يقاتل في سبيل الطاغوت، كالصديق رضي الله عنه مع أهل الردة، وكعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج المارقين ومع الغلاة السبئية (أصحاب عبد الله بن سبأ، يزعمون أن عليا – رضي الله عنه – لم يمت وسيعود إلى الدنيا).

ثم بين شيخ الإسلام أن: " الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنى حرام لحق الله تعالى، وكذلك حق التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفّره الله ورسوله ". (الرد على البكري: ٢٥٦ – ٢٥٨)

● وذكر رحمه الله أنه من أعظم الناس نهيا عن تكفير المعيّن بغير حجة ولا دليل، فقال: " إني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معيّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي من خالفها كان كافرا تارة، وفاسقا أخرى، وعاصيا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية". (مجموع الفتاوى ٣ / ٢٢٩)

وقال رحمه الله: " وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية.

كما نازعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وغيرها من الصحابة في رؤية محمد ﷺ ربه وقالت: " من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ". (رواه الطبراني في تفسيره ٢٧ / ٥٠)

ومع هذا لا تقول لابن عباس ونحوه من المنازعين لها إنه مفتر على الله، كما نازعت في سماع الميت كلام الحي، وفي تعذيب الميت ببكاء أهله وغير ذلك، وقد آل الشر بين السلف إلى الاقتتال مع اتفاق أهل السنة على أن الطائفتين جميعا مؤمنتان، وأن الاقتتال لايمنع العدالة الثابتة لهم، لأن القاتل وإن كان باغيا فهو متأول، والتأويل يمنع الفسوق ". (مجموع الفتاوى ٣ / ٢٣٠)

وقد ذبّ عن أعراض العلماء وحذر من رمي أحدهم بتكفير أو تفسيق فقال: " ومع هذا فقد اتفق المسلمون على أنه لا يكفّر أحد من هؤلاء الأئمة الأربعة (مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة)، ومن كفّرهم بذلك استحق العقوبة الغليظة التي تزجره وأمثاله عن تكفير المسلمين ". (مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٠١ – ١٠٢)

تكفير المعين

وشنع على الذين يكفّرون من اجتهد في مسألة عقديةوأخطأ أشد التشنيع، فقال: "وأما تكفير شخص يُعلم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم، فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ قال: " ...... ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله " (رواه البخاريومسلم)

وإذا كان تكفير المعين على سبيل الشتم كقتله، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد ؟! فإن ذلك أعظم من قتله، إذ كل كافر يباح قتله، وليس كل من أبيح قتله يكون كافرا، فقد يقتل الداعي إلى بدعة لإضلاله الناس وإفساده، مع إمكان أن الله يغفر له في الآخرة، لما معه من الإيمان فإنه قد تواترت النصوص بأن يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ". (الاستقامة ١ / ١٦٥ – ١٦٦)

لقد بين شيخنا المجدد وسطية أهل السنة والجماعة في التحذير من التكفير، وأنها من السمات البارزة في عقيدة أهل السنة والجماعة، والحمد لله رب العالمين.

(مجلة الفرقان الكويتية، عدد: ٥٥٠)



تصحيح المفاهيم

من أقوال المنصفين
في الصحابي الخليفة معاوية
رضي الله عنه

الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد
المدينة المنورة

﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم ارض عن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾.

أما بعد ...... أيها الإخوة الكرام! فهذا حديث عن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله تعالى عنهما – في ألسنة المنصفين، لا أريد أن أتكلم فيه عن نسبه وحياته وحديثه وما إلى ذلك مما يتعلق به، وإنما سيكون مقصورا على ناحية معينة، وهي كلام أهل الإنصاف فيه الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لأن يسلكوا المسلك القويم وأن يتكلموا فيه بما يليق به وبما يناسب مقامه، ولم يقعوا فيما وقع فيه أناس لم يحالفهم التوفيق، ولم يحصل لهم ما يكون فيه سلامتهم ونجاتهم وسعادتهم، ومعاوية بن أبي سفيان – رضي الله تعالى عنه – هو أحد الصحابة الذين أكرمهم الله بصحبة نبيه محمد ﷺ، وكل كلام يقال في الصحابة فيما يتعلق بفضلهم عموما وما يجب لهم عموما فإن معاوية – رضي الله تعالى عنه – يدخل في ذلك،

ولهم فيه كلام يخصه ويتعلق به مما ينبغي أن يوصف به وأن يتكلم فيه بشأنه – رضي الله تعالى عنه وأرضاه – وما أورده في هذا الحديث عنه ليس لي منه إلا مجرد النقل من كتب بذل أصحابها جهودا مشكورة في خدمة السنة النبوية وفي بيان ما يجب للصحابة – رضي الله تعالى عنهم – فأنا سآتي بكلام عام في الصحابة جميعا ويدخل فيهم معاوية بن أبي سفيان، ثم بالكلام الخاص الذي يتعلق بمعاوية – رضي الله تعالى عنه، وقد يقول قائل: لماذا اخترت معاوية بن أبي سفيان، فخصصته بالحديث دون غيره ؟ والجواب على ذلك هو أن أحد السلف وهو أبو توبة الحلبي قال قولة مشهورة وهي قوله (١): إن معاوية بن أبي سفيان ستر لأصحاب رسول الله ﷺ فمن كشف الستر اجترأ على ما وراء ه، فالذي يتكلم في معاوية ويجرؤ على أن يتكلم فيه – رضي الله تعالى عنه – بكلام لا يليق فإنه من السهل عليه أن يتكلم في غيره، ولم يكن الأمر مقتصرا عليه بل تجاوزه إلى من هو خير منه ومن هو أفضل منه بل إلى من هو أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم وأرضاهم – وكذا غيرهم من الصحابة حصل في حقهم ما حصل من الكلام، وفي الحقيقة إنما حصل لهم من كلام يليق بهم فهم أهله وهو اللائق بهم – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – وهو محمدة لمن تكلم به، ولمن حصل منه ولهذا كان ذكر هؤلاء الأسلاف الذين تكلموا في حق أولئك الأخيار – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – كان ذكرهم دائما على الألسنة يذكر كلامهم الجميل ويترحم عليهم ويثني عليهم في كونهم قاموا بما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين، أما من تكلم فيهم بكلام لا ينبغي فهو في الحقيقة لم يضرهم، إنما ضر نفسه وذلك أنهم – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – قدموا على ما قدموا وقد قدموا الخير الكثير وقد قدموا الأعمال الجليلة التي قاموا بها مع رسول الله ﷺ – ورضي الله تعالى عنهم – فالذي يتكلم فيهم بما لا ينبغي هو في الحقيقة لا يضرهم وإنما يضر نفسه، بل إن ذلك يكون زيادة في حسناتهم ورفعة في درجاتهم لأنه إذا تكلم فيهم بغير حق أضيف

(١) انظر البداية والنهاية (٨/١٣٩).

إليهم من حسنات المتكلم فيهم إذا كان له حسنات فيكون ذلك رفعة في درجاتهم وإن لم يكن له حسنات فإنه لا يضر السحاب نبح الكلاب كما يقولون .

والله سبحانه وتعالى لما أرسل رسوله محمدا ﷺ وختم به الرسالات وجعل رسالته ﷺ كاملة شاملة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها خصه سبحانه وتعالى بأصحاب اختارهم لصحبته، فشاء أن يوجدوا في زمانه ووجدوا وقاموا بما أمكنهم من جد واجتهاد في الجهاد معه في سبيل الله ونشر سنته وتلقى ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام فصاروا هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين من جاء بعدهم، ومن يقدح فيهم إنما يقدح بالواسطة التي تربط المسلمين برسول الله ﷺ فالذي يقدح فيهم يقدح بالصلة الوثيقة التي تربط الناس برسول الله ﷺ. فإذا حصل لهم ميزة وخصيصة وهي أنهم اختيروا لصحبة رسول الله ﷺ فشرفهم الله في هذه الحياة الدنيا بالنظر إلى طلعته وما حصل ذلك لأحد سواهم – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – وشرفهم الله سبحانه وتعالى بأن سمعوا كلامه من فمه الشريف ﷺ فتلقوا هذا الخير وهذا النور وهذا الهدى وأدوه إلى من بعدهم فكل إنسان يأتي بعدهم فلهم عليه منة ولهم عليه فضل، لأن هذا الهدى وهذا النور وهذا الخير الذي حصل لهم لم يحصل إلا بواسطة أولئك الأخيار – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم – وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا "(١). فهذا الحديث الشريف لأصحاب رسول الله ﷺ من مقتضاه القسط الأكبر والحظ الأوفر، وذلك لأنهم هم الذين تلقوا هذا الهدى وهذا النور من رسول الله ﷺ وأدوه إلى من بعدهم، فكل من استفاد منه فلهم مثل أجره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقبلهم رسول الله ﷺ الذي جاء بهذا الخير وهذا الهدى، فكل من اهتدى ودخل في دين الله وعمل صالحا فإن الله يثيب نبيه ﷺ بمثل ما يثيب به ذلك العامل من غير أن ينقص من أجر العامل شيء، لأن الرسول ﷺ هو الذي دعا الناس إلى هذا الهدى فله مثل

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٦٠)

أجور كل من استفاد خيرا بسببه صلوات الله وسلامه عليه، وأصحاب رسول الله ﷺ لهم القسط الأكبر والحظ الأوفر من ذلك، لأنهم هم الذين تلقوا هذا الهدى وأدوه إلى من بعدهم فهم الذين جمعوا القرآن وهم الذين حفظوه وهم الذين أوصلوه إلى من بعدهم وهم الذين تلقوا سنة رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم – وأدوها إلى من بعدهم فصار لهم الثواب الجزيل ولهم الأجر العظيم ولهم الحظ الأوفر من دعوة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الصحيح الذي قال فيه: " نضر الله امرء ا سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها " فإنهم هم الذين سمعوا منه مباشرة وبدون واسطة فهذه خصيصة حصلت لهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، إذا فإن هؤلاء الأخيار وهؤلاء الأسلاف هم الصلة الوثيقة التي تربطنا برسول الله ﷺ ومن قدح بهؤلاء الذين هم الواسطة فقد قطع الصلة بينه وبين رسول الله ﷺ وكفى بذلك ضلالا وخذلانا والعياذ بالله .

بعد هذا أتلو عليكم بعض النقول التي تكلم بها سلف هذه الأمة في حق صحابة رسول الله ﷺ عموما، ويدخل فيهم معاوية – رضي الله تعالى عنه – وكذلك ما تكلموا به في حق معاوية – رضي الله تعالى عنه – على وجه الخصوص.

يقول الطحاوي في عقيدته المشهورة: " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ".

وقال شارح الطحاوية: " فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين، بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصله. قيل لليهود من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا: أصحاب عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا: أصحاب محمد، ولم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة". (١)

وقال البغوي في شرح السنة: " قال مالك: من يبغض أحدا من أصحاب رسول الله

(١) انظر شرح الطحاوية ص (٤٦٩)

ﷺ وكان في قلبه عليه غل فليس له حق في فيء المسلمين. ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ إلى قوله: ﴿والذين جاء وا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخوانناالذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية. وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾ إلى قوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾. ثم قال: من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي ﷺ فقد أصابته هذه الآية". (١)

وقال الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿ والذين جاء وا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ قال بعد أن فسر الذين جاء وا من بعدهم أي بعد المهاجرين والأنصار بأنهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين. قال: أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه – أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولا أوليا لكونهم أشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابةعلى العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية فإن وجد في قلبه غلا لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخيرة أمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلى الله سبحانه والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة أو صاحب أحدا من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الأكاذيب المختلقة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم

(١)انظر شرح السنة (٢٢٩/١)

من منزلة إلى منزلة ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط".

هذا ما قاله الشوكاني رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية. ثم قال أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال: " الناس على ثلاث منازل، قد مضت منزلتان وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. ثم قرأ ﴿ والذين جاء وا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ الآية. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن عائشة قالت: " أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم ثم قرأت هذه الآية: ﴿والذين جاء وا من بعدهم﴾ (١) قلت: وقد أخرج مسلم في أواخر صحيحه هذا الحديث بدون تلاوة الآية.

وقال النووي في شرحه. قال القاضي: " الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهل الشام يقولون في عليّ ما قالوا والحرورية في الجميع ما قالوا" وأما الأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه فهو قوله تعالى: ﴿ والذين جاء وا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ وبهذا احتج مالك بأنه لا حق في الفيء لمن سب الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – لأن الله تعالى إنما جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر لهم والله تعالى أعلم. (٢)

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر – رضي الله عنه – أنه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه ﴿ للفقراء المهاجرين ﴾ الآية. ثم قال هؤلاء المهاجرون أفمنهم أنت؟ قال: لا. ثم قرأ عليه ﴿ والذين تبوء وا الدار والإيمان ﴾ الآية. ثم قال هؤلاء الأنصار أفأنت منهم ؟ قال: لا. ثم قرأ عليه ﴿ والذين جاء وا من بعدهم ﴾ الآية. ثم قال: أفمن هؤلاء أنت ؟ قال: أرجو. قال: ليس من هؤلاء من سب هؤلاء". (٣)

(١) انظر فتح القدير (١٩٧/٥، ١٩٨) (٢) انظر شرح النووي (١٥٨/١٨)
(٣) انظر فتح القدير (١٩٨/٥)

وقال الإمام أحمد بن حنبل في كتابه السنة: " ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن الذي جرى بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدا منهم فهو مبتدع رافضي. حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة. وقال: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع ".

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني في كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث): "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم أو نقصا فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: " ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله في قوله: ﴿والذين جاء وا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ وطاعة للنبي ﷺ في قوله: " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" إلى أن قال: ويتبرء ون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما جرى بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر عنه فإذا كان هذا في

الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذيينكر من فعل بعضهم نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله ".

وقال الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري اليمني في كتابه الرياض المستطابة في من له رواية في الصحيحين من الصحابة: " وينبغي لكل صين متدين مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر والاعتذار عن مخطئهم وطلب المخارج الحسنة لهم وتسليم صحة إجماع ما أجمعوا عليه على ما علموه، فهم أعلم بالحال والحاضر، يرى ما لا يرى الغائب، وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب، وطريقة المنافقين تتبع المثالب، وإذا كان اللازم من طريقة الدين ستر عورات المسلمين فكيف الظن بصحابةخاتم النبيين مع اعتبار قوله ﷺ: " لا تسبوا أحدا من أصحابي "، وقوله: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " هذه طريقة صلحاء السلف وما سواها مهاو وتلف ". (١)

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن أبي المظفر السمعاني أنه قال: " التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله بل هو بدعة وضلالة " (٢).

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل يا أبا الحسن إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام. (٣)

وروى الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية بإسناده إلى أبي زرعة الرازي قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة ". (٤) (يتبع)

☆☆☆

(١) انظر الرياض المستطابة ص (٣١١)
(٢) انظر فتح البارى (٣٦٥/٤)
(٣) انظر البداية والنهاية (١٣٩/٨)
(٤) انظر الكفاية ص (٤٩)

تفنيد المزاعم

سَقَطَاتُ هَشِيمِ المُحتَظَر

(٢)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

نظرات عامة في محتويات كتاب العداب وأسلوبه فيه

قال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله: " من صنف فقد جعل عقله في طبق يعرض على الناس ". (١)

وإننا لما ننعم النظر في أسلوب كتاب الشيخ عداب هذا نجد فيه أن مؤلفه شديد الاعتداد بنفسه، سريع الانتقاد لغيره ولو كانوا من كبار الأئمة والعلماء، كثير اللجوء إلى الانفعال والتشنج والغضب والشطط عند انتقاده بعض الأمور في كتب بعض المؤلفين، بينما تلك الأشياء نفسها أو أشد منها موجودة لدى كتاب آخرين فيثني عليهم الشيخ وعلى كتاباتهم. فما هو السر في هذا كله ؟ هل هذه "مزاجية" أم أنه اضطراب فكري، أم أنه حساسية مفرطة ضد بعض الأشخاص أو بعض الأفكار ؟ كما أنه كثيرا ما يلجأ إلى التشنيع والتهويل والمبالغة مما لا يتناسب مع التحقيق العلمي الموضوعي، وفيما يلي أهم ما لمسته منه في هذا الصدد من خلال كتابه هذا.

١ – تخلف في القراءة والفهم، تسرع في الإنكار والتشكيك:

قال رسول الله ﷺ: " ...... ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، ...... الحديث." (٢)

(١) تذكرة الحفاظ (١٢٤٨/٤)، ترجمة المؤتمن الساجي.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط وآخرون، وللنظر في تخريجه مفصلا يمكن الرجوع إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (١٨٠٢)

والمشاهد أن الإنسان المعجب بنفسه كثيرا ما يقع في المهاوي، فينقشع غباره وينكشف عواره، ويصبح أضحوكة للعقلاء، ويبدو أن الشيخ عداب قد ملىء إلى مشاشه من هذه الآفة، وإن هذا الإعجاب الشديد بنفسه يقوده إلى التسرع في التشكيك والإنكار على ما نقله كبار الأئمة في كتبهم دون أي تثبت أو تدقيق. وللتأكد من سقطات الشيخ عداب في هذا الباب رجعت إلى ما نفاه أو شكك فيه من عزو الأئمة وتخريجاتهم فذهلت مما رأيت ووجدت. لقد رأيت أن الشيخ عداب لا يحسن القراء ة والفهم حتى في الكتب المطبوعة والمحققة، ومع ذلك فهو يبادر إلى إنكار ما عزاه إليها بعض كبار الأئمة والعلماء، وإليك أمثلة من ذلك.

المثال الأول:

ترجم الشيخ عداب في صدد نقاشه المتهاوي لحديث المجددين (١) لـ " شراحيل بن يزيد المعافري، المصري" وقال في ترجمته:

" قال المزي: روى له البخاري في خلق أفعال العباد حديثا، ومسلم في مقدمة كتابه حديثا، وروى له أبو داود حديثا، وقد وقع لنا كل واحد منها بعلو، وساق في ترجمته أحاديثه الثلاثة.

أقول: (والقول للشيخ عداب): لم أقف لنا قد من النقاد على كلمة جرح أو كلمة تعديل في هذا الراوي. وليس له في الكتب الستة إلا حديث الباب، وحديث في مقدمة مسلم". (٢)

قال البستوي: وقول الشيخ عداب: " لم أقف لناقد من النقاد على كلمة جرح أو كلمة تعديل في هذا الراوي". من مراوغاته المكثرة التي لا تليق بطالب العلم، وذلك لأن المزي نفسه في الصفحة نفسها، قال: ذكره ابن حبان في الثقات (٣) وعنه ابن حجر في التهذيب، وله ترجمة في ثقات ابن حبان، والشيخ عداب نفسه رجع إلى هذا الموضع في ثقات ابن حبان، كما أحال إليه في الحاشية.

(١) هو حديث " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" رواه أبوداود ٤ / ١٠٩ حديث ٤٢٩١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا الحديث لا يدخل في بحثنا هذا دخولا مباشرا، وإلا لبينت للقارىء تلاعبات الشيخ عداب في تضعيفه.

(٢) انظر كتاب الشيخ عداب ص ٢٨٩. (٣) تهذيب الكمال ١٢ / ٤١١.

فهل الإمام ابن حبان ليس ناقدا من النقاد ؟ وهل ذكر ابن حبان هذا الراوي في كتاب الثقات لا يكون توثيقا له في نظر ابن حبان ؟ ولكن الشيخ عداب " يراوغ " و " يخدع " قراءه من غير طلبة الحديث، بتعبيره لم أقف على كلمة جرح أو تعديل" الخ. وذلك لأن الإمام ابن حبان خصص هذا الكتاب لذكر الثقات فقط، فهو يكتفي في الغالب بذكر اسم الراوي وذكر بعض شيوخه وبعض الرواة عنه، اكتفاء بما ذكر في أول كل طبقة. ومثال ذلك لو أن مدير الجامعة طلب من الشيخ عداب أن يكتب له أسماء الطلاب الذين درسوا عليه علم مصطلح الحديث مثلا، فيعد الشيخ قائمة يذكر في أولها " قائمة بأسماء الطلاب الذين درسوا علي علم المصطلح" ثم يذكر اسم كل واحد منهم، وليس من الضروري أن يذكر بعد كل اسم "درس علي علم المصطلح" "درس علي علم المصطلح" لأن ما ذكره على رأس القائمة يغني عن ذلك، عند العقلاء.

فكذلك يذكر ابن حبان منهجه في أول كل طبقة، ثم يسرد أسماء تلك الطبقة، ولا يذكر مرتبتهم إلا نادرا، والمفروض أن الشيخ عداب من أعلم الناس بهذا، لأنه ألف رسالة ماجستير عن " ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل " (١)، ولكنه يستبيح – سامحه الله – أن يراوغ بمثل هذه التعبيرات المخادعة.

ولكي يكون القراء على علم بذلك، فإني أذكر ما قاله ابن حبان في بداية ذكره لهذه الطبقة – طبقة أتباع التابعين – وفي أول هذا الجزء – الجزء السادس – نفسه.

لقد بدأ رحمه الله ذكرهم بكلام عظيم في بيان فضلهم وجلالتهم وعظيم منزلتهم بما يزيد على صفحتين. ولولا خوف الإطالة لذكرت ذلك كله، ولكني أكتفي بذكر جمل منه، لقد جاء فيه:

" وإنما نملي على أسماء الثقات منهم، وأنسابهم، وما يعرف من الوقوف على أنبائهم، في هذا الكتاب، على الشرط الذي ذكرنا من قبل في الطبقتين الأوليين عند تعري أخبارهم من الخصال الخمس التي ذكرناها قبل".

---

(١) انظر كتاب الشيخ عداب في المهدي المنتظر ص (٢٢٣)

" ولست أعرج على جلالة الإنسان ولا قدره، ولا تقدم السن ولا تأخره، لأن القصد في ذكرهم اللقي دون الفضل والسن، على ما أصلنا الكتاب عليه. (١)

إلى أن قال: " فكل خبر وُجد من راويه شيخ ممن أذكره في هذا الكتاب فهو خبر صحيح إذا تعرى من الخصال الخمس التي ذكرناها، فيجب أن يعتبر ما قلنا، حتى لا يلزق الوهن بأهل الصدق من الثقات". (٢)

ثم بدأ ابن حبان في سرد أسمائهم، وذكر منهم هذا الراوي "شراحيل بن يزيد المعافري" (٣)

أنقل هذا من كلام ابن حبان لا يساوي، كلمة تعديل، في نظر " فقيه الجرح والتعديل في زعمه" الشيخ عداب الحمش، المتخصص في " منهج ابن حبان في الجرح والتعديل" !! ولكن الشيخ لم يعتبر " فألزق الوهن بهذا الصدوق الثقة " كما كان يخشى ابن حبان، نسأل الله العافية.

ثم إن الشيخ عداب نفسه نقل في الصفحة نفسها أن الذهبي قال فيه: ثقة، وقال ابن حجر: صدوق.

فهل الذهبي وابن حجر ليسا من النقاد في نظر الشيخ عداب ؟؟ ولا أدري بعد هذا هل ادعاء الشيخ عداب أنه لم يقف في هذا الراوي على "كلمة جرح أو كلمة تعديل " من ناقد. هل هذا أمر متعمد؟ أم جهل متحقق ؟؟ الشيخ أدرى بنفسه.

وإذا كان هذا هو أسلوب فهم الشيخ عداب الحمش، فلا يستغرب منه أن يقول في يوم من الأيام، أن البخاري لم يصحح حديثا من أحاديث الجامع الصحيح، لأنه ليس من منهج البخاري ومسلم أن يقولا بعد كل حديث: هذا حديث صحيح. كما هي عادة الترمذي مثلا. وذلك لأنهما بينا أن من شرطهما أن لا يذكرا في كتابهما إلا ما صح عندهما، وتركا كثيرا من الصحيح خوفا من الطول. (٥)

---

(١) ثقات ابن حبان ٦ / ١–٣. (٢) ثقات ابن حبان ٦ / ٢.

(٣) المصدر السابق ٦ / ٣. (٤) المصدر السابق ٦ / ٤٥٠.

(٥) انظر للتفصيل: علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦، ٢٢.

المثال الثاني:

وفي الترجمة نفسها ينفي الشيخ عداب قول المزي وابن حجر: إن البخاري روى له حديثا في خلق أفعال العباد، على الرغم من أن المزي ساق الحديث كاملا بإسناده ومتنه، ولطرافة هذا الكلام وغرابته أستأذن القارىء الكريم أن أنقله بكامله على لسان الشيخ عداب نفسه.

قال الشيخ: " ويحسن أن أشير إلى أن دعوى رواية البخاري عنه في خلق أفعال العباد فيها نظر، حسب ما بين أيدينا من رواية هذا الكتاب."

" فقد أخرج المزي بسنده إلى البخاري (١) هذا الحديث من طريق محمد بن الحسن البلخي قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن شُريح المعافري، قال: حدثنا شراحيل بن يزيد، عن محمد بن هدية، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، والحديث بسند المزي هذا، أخرجه أحمد في مسنده، فالله تعالى أعلم."

" والذي في " خلق أفعال العباد " المطبوع، قال البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل أبوالحسن، حدثنا عبد الله – يعني ابن المبارك –، حدثنا عبد الرحمن بن شريح المعافري، حدثني شراحيل بن هامان، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ به" . (٢)

" قلت: (القول للشيخ عداب): وليس في الرواة عن عقبة بن عامر راو يُدعى شراحيل، وإنما يروي عنه مشرح ابن هاعان".

قلت (القول ما زال للشيخ عداب): لم أقف على من نص أن لهذا الحديث إسنادين في حدود علمي، فإن كان الأمر كذلك، أو يكون وقع اشتباه من أحد النساخ، أو الرواة بين شراحيل بن يزيد وشراحيل بن هامان، فالله تعالى أعلم."

---

(١) هذا دليل آخر على قلة فهم الشيخ عداب لما يقرأ، فإن المزي لم يخرج هذا الحديث في تهذيب الكمال عن طريق البخاري، وإنما أخرجه بإسناده ويلتقي مع إسناد البخاري في عبد الله بن المبارك فما فوق، وتاكيداعلى ذلك قال المزي بعد رواية هذا الحديث "رواه البخاري من حديث ابن المبارك فوقع لنا بدلا عاليا" (١٢/٤١٢)، وقال علماء المصطلح: إن "البدل" هو الوصول إلى شيخ شيخ أحد المصنفين من غير طريقه، وهو من أقسام العلو النسبي. (انظر للتفصيل: شرح نخبة الفكر ص ١٢٤)، ولكن هل الشيخ عداب يفقه هذا ؟؟

(٢) أحال الشيخ عداب هنا إلى تهذيب الكمال (١٢/٤١١)

ثم قال الشيخ عداب بعد سطرين: " والحديث الذي نسبوه إلى البخاري في خلق أفعال العباد (ص ١١٨) (١) لا يفرح به، حتى لو كان لشراحيل بن يزيد، لأنه من رواية شراحيل بن يزيد عن شيخه محمد بن هدية الصدفي وهو مجهول، قال الحافظ في اللسان: لا يعرف. (٢) انتهى ما أردت نقله من كلام الشيخ عداب.

(١) ما بين القوسين من الشيخ عداب نفسه.

(٢) هكذا قال الشيخ عداب في (ص ٢٩١ من كتابه) ولكنه لم يصب في قوله هذا، ولا أقول: لم يصدق، وإن كان يسبق إلى القلب أنه المتعمد لذلك، (تعبير يستخدمه ابن حبان كثيرا، والشيخ عداب متخصص في ابن حبان ومنهجه) وتوضيح ذلك على النحو التالي:

١ – إن محمد بن هوية الصدفي لا علاقة له بالحديث الذي يتكلم فيه الشيخ عداب هنا وهو حديث المجددين. فإقحام محمد بن هوية الصدفي هنا وتجهيله من " فوضوية " الشيخ عداب. ويقصد منه الإيحاء والتأثير النفسي على غير المتخصص في علم الحديث بإكثار ذكر الضعفاء ولو لم تكن لهم علاقة بالحديث المتكلم فيه وهذه عادة منكرة للشيخ عداب يستخدمها كثيرا، وسيأتي ذكر أمثلة عديدة منها في الصفحات القادمة.

٢ – محمد بن هوية الصدفي من رجال " خلق أفعال العباد " للبخاري. وهذا يعني أنه مترجم في تهذيب الكمال، وتهذيب الترمذي وفروعها، وهو الواقع فعلا. (انظر: تهذيب الكمال ٥٦٤/٢٦، وتهذيب التهذيب ٤٩٥/٩) وفي ترجمته فيتهذيب التهذيب، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: مصري تابعي ثقة، وذكره يعقوب بن سفيان في الثقات. فالشيخ عداب يعرض عن كل هذا ويحيل إلى أن الحافظ قال في اللسان: لا يُعرف. إن كان هذا جهلا من الشيخ عداب فهذا يدل على أن الشيخ يجهل أبجديات علم الجرح والتعديل. وإن كان ذلك عمدا منه لتضليل قرائه، فأترك أمره لله، ثم للقارىء الكريم يحكم عليه بما شاء.

٣ – إن الحافظ ابن حجر بدأ تأليف كتابه " لسان الميزان" بتلخيص كتاب " ميزان الاعتدال" للإمام الذهبي. ومن منهج الحافظ ابن حجر أنه إذا كان الراوي المذكور في الميزان مترجما في تهذيب الكمال فإنه لا يترجم له في لسان الميزان اكتفاء بما ذكر في تهذيب التهذيب. وهذا المنهج بينه الحافظ ابن حجر في مقدمة لسان الميزان بوضوح (٤/١) وكذلك في آخر الكتاب (٥٣٥/٧) ولكنه ذكر أسماء هؤلاء المحذوفين في آخر لسان الميزان للعلم. وعنونها بقوله: "فصل في تجريد الأسماء التي حذفتها من الميزان" اكتفاء بذكرها في تهذيب الكمال الخ (١٦٧/٧)، وفي هذا التجريد ذكر محمد بن هوية هذا، وقال فيه: لا يعرف وثقه ابن حبان (٣٧٨/٧)، فقوله: " لا يعرف. هو قول الذهبي في الميزان (٥٨/٤) وعقب عليه الحافظ بقوله: " وثقه ابن حبان. فلم يطق الشيخ عداب أن ينقل ذلك. فهل تجاهل الشيخ عداب ترجمة محمد بن هوية الصدفي في تهذيب الكمال، وتهذيب التهذيب وغيرهما. وتجاهله من وثقوه، والوصول إلى هذه القائمة المعزولة، وحذف جملة " وثقه ابن حبان، هل كل هذا محض صدفة ؟ أم أنه " متعمد لها "؟ " يسبق إلى القلب ذلك " والله أعلم.

ولقد تجشم الشيخ عداب كل هذا، على الرغم من أن هذا الراوي ليس له أي علاقة بالحديث الذي يتكلم فيه الشيخ هنا، وهو حديث المجددين فسواء كان مجهولا كما زعم الشيخ عداب، أو كان ثقة كما وثقه ثلاثة من الأئمة، لايؤثر ذلك شيئا في الحديث الذي يدرسه هنا. وهذا من مراوغات الشيخ، سامحه الله.

والآن أنقل ما ذكره الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

قال البخاري: "حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن، ثنا عبد الله، ثنا عبد الرحمن بن شريح المعافري، حدثني شراحيل بن يزيد، عن محمد بن هدية، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: أكثر منافقي أمتي قرّاؤها ".

" حدثنا محمد بن عبد الرحيم، ثنا منصور بن سلمة، ثنا الوليد بن مغيرة وكان ثبتا، ثنا مشرح بن هامان، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: أكثر منافقي أمتي قراؤها. (خلق أفعال العباد ص ١١٨)

فهذه خمسة أسطر أو ستة فقط، تبين بكل وضوح أن ما عزاه المزي إلى البخاري فيخلق أفعال العباد هو عين الصواب. ولكن الشيخ عداب لم يحسن حتى قراء ة ستة أسطر على الصواب من كتاب مطبوع ومحقق، فأسقط منها السطرين اللذين وضعت تحتهما الخط، وخلط حديثا في حديث آخر، ثم أطال الكلام بما يزيد على صفحة من كتابه للتشكيك في نقل المزي وإنكار ذلك !!! أفبمثل هذه الفطنة والذكاء والتنبه واليقظة يحق للإنسان أن يتكلم في علم الجرح والتعديل ؟؟ بل ويزعم في نفسه أنه فقيه في علم الجرح والتعديل ؟؟

لقد ظننت بادىء ذي بدء أن النسخة التي رجع إليها الشيخ نسخة ناقصة ومنها سقط، ولكني استغربت أن الشيخ عداب يحيل إلى ص ١١٨ منها، وهي الصفحة نفسها التي رجعت إليها من الطبعة الموجودة عندي بتحقيق الدكتور عبد الرحمن عمرة. فتبين أن الخطأ ليس في الطبعة، ولكنه في تسرع الشيخ عداب وعدم استيعابه لما يقرأ.

ولو كان الشيخ عداب يتحلى بآداب طالب العلم، ويحرص على الأمانة العلمية لسعى للنظر في نسخة أخرى من الكتاب، ولا أظن أنه يعدمها في مدينة كبغداد، أو عمان، ولكنه الإعجاب بالنفس التواقة إلى تخطئة الأئمة، والتشكيك في جهود العلماء ولو كانوا من كبار الأئمة، وللشيخ أمثلة كثيرة من مثل هذه الهفوات سيأتي ذكرها فيما بعد إن شاء الله.

المثال الثالث:

قال الشيخ عداب في صدد كلامه فيالراوي نفسه: " وكل الذي وجدته لشراحيل بن

يزيد من أحاديث، حديث الباب (١)، وهذا الحديث عند أحمد والمزي. (٢) وحديث آخر في معجم الطبراني الأوسط. (٣)

وهذا ليس من اكتشاف الشيخ عداب، ولكن الأحاديث الثلاثة ذكرها المزي نفسه بإسناده في تهذيب الكمال. ومن هناك أخذ الشيخ. وعدم وجود الشيخ أحاديث أخرى له لا يعني أنه لم يرو أحاديث أخرى. فالمزي نفسه ذكر من جملة الرواة عن شراحيل بن يزيد المعافري هذا، حَيوَة بن شُريح، وأبا الأشم رجاء بن عطاء المعافري، ورشد بن سعد، وعبدالله بن لهيعة، وهؤلاء الأربعة ليس لهم ذكر في الأسانيد التي ذكرها المزي للأحاديث الثلاثة، فدل ذلك على أن الرجل له روايات أخرى، رواها عنه هؤلاء، ولكن الشيخ عداب يتجاهل مثل هذه القرائن ويلبس على قرائه، أو أنه لا يفهم ماذا يعني ذكر هؤلاء الرواة عنه في ترجمته.

المثال الرابع:

تعرض الشيخ في ص (٣٠٩) من كتابه لترجمة إبراهيم بن محمد بن الحنفية،

---

(١) يعني حديث المجددين الذي يتكلم فيه الشيخ عداب.

(٢) يعني به الحديث الذي رواه البخاري في " خلق أفعال العباد" ونفاه الشيخ عداب وهو حديث: " أكثر منافقي أمتي قراؤها".

والمزي متأخر جدا، فعزوه الحديث إلى أحمد ثم النزول إلى المزي يوهم أنه لا يوجد في المصادر الأخرى القديمة. وهذا أيضا من تلبيسات الشيخ للتقليل من أهمية ذلك الراوي وذلك الحديث. على الرغم من أنه أخرجه الإمام أحمد في موضعين من مسنده ١١ / ٢١٠، حديث ٦٦٣٣، و١١/ ٢١٢ حديث ٦٦٣٧، وبالإضافة إلى ذلك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ٢٢٨، وعبد الله بن المبارك في الزهد ص ١٥٢، حديث ٤٥١، والبخاري في خلق أفعال العباد ص ١١٨، وفي التاريخ الكبير ١/ ٢٥٧، والفريابي في صفة المنافق، حديث ٣٦، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٦٣، حديث ٦٩٥٩، وابن وضاح في البدع ص ٨٨، والبغوي في شرح السنة ١ / ٧٥.

أما المتن فقد ورد من حديث عقبة بن عامر أيضا، وقد أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد في الموضع المذكور نفسه. كما أخرجه أحمد، والفريابي، وابن بطة وأبي عدي، والخطيب، وابن عساكر وغيرهم. (ينظر للتفصيل سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٣٧٦/ ٧٥٠.

وقد وقع في بعض هذه المصادر "شرحبيل بن يزيد"، قال البخاري، وقال بعضهم " شرحبيل بن يزيد المعافري"، ولا يصح. (التاريخ الكبير ١/ ٢٥٧)

(٣) كتاب الشيخ عداب في المهدي المنتظر ص ٢٩٠.

وإبراهيم هذا ترجم له الحافظ ابن حجر في التهذيب، وقال فيها:

" ...... وذكره ابن حبان في الثقات." (١) ونفى الشيخ عداب ذلك. فقال: " ولم يترجمه ابن حبان في الثقات كما ذكر غير واحد".

وكتاب الثقات لابن حبان مطبوع منذ مدة طويلة، وله فهرس علمي مطبوع أيضا، والشيخ عداب متخصص في منهج ابن حبان في الجرح والتعديل وأخذ شهادة الماجستير في هذا الموضوع، ولكنه مع ذلك غير قادر على استخراج ترجمة من كتاب الثقات، ثم يتجرأ وينكر على ابن حجر عزوها إليه.

وترجمة إبراهيم بن محمد بن الحنفية هذا، موجودة في كتاب الثقات لابن حبان (٢) ونصه فيه:

" إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ابن محمد بن الحنفية، أخو الحسن، وعبد الله، يروي عن أبيه، روى عنه محمد بن إسحاق وعمر مولى غفرة ".

ولا أدري كيف يخفى مثل هذا على متخصص في منهج ابن حبان في الجرح والتعديل، ثم يبادر بالإنكار على ما نقله عنه حافظ مثل ابن حجر.

وبمثل هذه " اليقظة والفطنة " يتصدى الشيخ عداب الحمش للكلام في الجرح والتعديل، بل ويزعم أنه فقيه في الجرح والتعديل، نسأل الله التواضع وحسن الأدب مع الأئمة والعلماء.

المثال الخامس:

ومن أمثلة تخلف الشيخ عداب في القراء ة والفهم والبحث أنه كرر في الصفحات (٣٠٩ – ٣١٣) نحو خمس مرات أنه ليس لابراهيم بن محمد بن الحنفية في كتب الستة إلا حديث واحد وهو حديثه في المهدي، بل قد بالغ فيمجازفته فقال في ص (٣١٠) " وقد تتبعت رواياته في كتب السنة فلم أجد له سوى هذا الحديث الواحد"، وذكر حديثا آخر له ذكره السيوطي في طواف القارن عند النسائي ولم يجده الشيخ عداب.

(١) تهذيب التهذيب ١ / ١٥٧. (٢) ٦ / ٤.

وكرر الشيخ في الصفحات نفسها أن هذا الحديث الواحد لم يروه عنه إلا ياسين العجلي، بينما هو يشاهد بأم عينه أن المزي ذكر في الرواة عنه خمسة، وذكر الشيخ عداب نفسه أن أبا الشيخ في الطبقات ذكر له راويا آخر فأصبحوا ستة، فإذا كان حديث المهدي تفرد به عنه ياسين العجلي فماذا رواه عنه الخمسة الباقون إن لم تكن له رواية أو روايات أخرى في كتب السنة، إن قال الشيخ إنهم جميعا رووا عنه حديثه في المهدي، بطل قوله أن حديث المهدي لم يروه عنه أحد سوى ياسين العجلي. وإن قال إنهم رووا عنه حديثا أو أحاديث أخرى بطل قوله إنه لا يوجد له في كتب السنة إلا حديثه في المهدي !! إن في ذلك لعبرة لمن كان يؤلف ويكتب عن وعي وفهم !!!

ولو كان الشيخ عداب يحسن البحث والتتبع لوجد أن الترمذي أخرج عن طريق إبراهيم بن محمد بن الحنفية هذا حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف النبي ﷺ: ليس بالطويل المُمَغّط ولا بالقصير المتردد الحديث. (١) وأخرج أجزاء منه في الشمائل في ثلاثة مواضع.

فالشيخ عداب على الرغم من أنه ألف ثلاث مجلدات عن الإمام الترمذي وكتابه الجامع غير قادر على إخراج حديث واحد من جامع الترمذي، ومع ذلك يدعي بدون خجل ولا حياء، أنه تتبع كتب السنة كلها فلم يجد لإبراهيم هذا سوى حديثه في المهدي. فما مقدار صدق الشيخ ودقته في هذه الدعوى ؟؟ إلا أن يكون تتبعه كتتبع ذلك الأعمى الذي أراد معرفة شكل الفيل فذهب يتتبع جسده، فوقعت يده على ذيل الفيل، فصرخ قائلا: عرفت، عرفت الفيل كالحبل المتين يتمايل يمينا وشمالا، ومن تواضع لله رفعه الله ياشيخ عداب.

المثال السادس:

لقد استعرض الشيخ عداب الحمش أقوال الحافظ ابن حجر فيما يتعلق بالمهدي في

(١) انظر: جامع الترمذي ٦ / ٢٧، أبواب المناقب، باب ١٩، حديث ٣٦٣٨، وفي الشمائل ص ٢٠ – ٢١، حديث: ٦، ثم أخرج جزءا منه في ص ٣٥، حديث ١٨، وفي ص ١١٦، حديث ١١٧، وذكر محقق الجامع الدكتور بشار عواد أن الحديث أخرجه أيضا ابن سعد ١ / ٤١١، وابن أبي شيبة ١١ / ٥١٢ والبيهقي في الدلائل ١/٢٦٩، والبغوي برقم ٣٦٥٠.

كتابه فتح الباري، فذكر أنه (أي الحافظ ابن حجر) " نقل عن نعيم بن حماد من طريق أرطاة بن المنذر أن القحطاني يخرج بعد المهدي وبسير على سيرته، وقال: هو ضعيف الاسناد". (ص ٣٩ من كتاب العداب)

قلت: ابن حجر لم يذكر هذا الأثر بلفظه عن نعيم بن حماد وإنما أشار هنا إلى معناه فقط، ولكن ابن حجر لم يقل فيه أنه "ضعيف الاسناد" إنما قال ذلك في حديث آخر، ولكن الشيخ عداب كعادته لا يفهم ما يقرأ. وإليك نص ابن حجر.

" وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطاة بن المنذر – أحد التابعين من أهل الشام – " أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي" وأخرج أيضا من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده مرفوعا: "يكون بعد المهدي القحطاني، والذي بعثني بالحق ما هو دونه، وهذا الثاني مع كونه مرفوعا ضعيف الإسناد، والأول مع كونه موقوفا أصلح إسنادا منه". (فتح الباري ٦/٥٤٦)

فانظر كيف أن ابن حجر صرح بأن " الثاني " هو ضعيف الإسناد، يعني به حديث عبدالرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده، ولكن الشيخ عداب لم يفهم معنى كلام ابن حجر فنسب قوله في الثاني إلى أثر أرطاة ابن المنذر. (١)

المثال السابع:

قال الشيخ عداب في (ص ٣٨٩) من كتابه في صدد كلامه في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا: منا الذي يصلى عيسى بن مريم خلفه. (٢)

" وأخونا البستوي غفر الله له، كتب كتابه هذا في عام ١٣٩٨ هـ وطبعه في عام ١٤٢٠هـ، أفما استطاع أن يرجع إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة التي طبعت عام ١٤١٢هـ . وصدرت قريبا منه في دار المعارف في الرياض. أتسمي هذا يا أخي البستوي اهتماما بالقارىء، وتدعي اهتماما بالسنة، وغيرة على دين الله تعالى؟ فأين أنت من مراجعة كتاب

(١) انظر حديث الصدفي في كتابي ٢ / ٢٨٩ حديث ٢٦٣، وأثر أرطاة بن المنذر في ٢ / ١٩٦، برقم (١٩٧) وابن حجر ذكره باختصار.

(٢) انظر التفصيل عن هذا الحديث في كتابي " المهدي المنتظر " ص ٣١٥ – ٣١٦.

كتبته قبل عشرين سنة، ولما طبعته لم تجصص عزوك القديم إلى المخطوطات فتجعل العزو إلى ما صدر مطبوعا منها. (١) وهذا يدل على أن بحثك كان في رقاد عشرين سنة فقط، فلما بعث لم يجدد له ثوب، ولم تعد النظر في تنقيداتك يوم كنت طالبا في مرحلة الماجستير، غفر الله لناولك. وأحال الشيخ إلى ص (٣١٦) من كتابي.

أقول: هذا دليل آخر على ضعف انتباه الشيخ لما يقرأ وتسرعه في توجيه الانتقادات، فقد قلت في هامش الصفحة نفسها:

" ثم صدر المجلد الخامس من سلسلة الأحاديث الصحيحة في عام ١٤١٢ هـ واطلعت عليه عند مراجعة هذا الكتاب وقال فيه: " لم يتيسر لي حتى الآن الوقوف على إسناده، ومع ذلك فالحديث عندي صحيح، لأنه جاء مفرقا في أحاديث" (٥/٣٧١)، ثم ذكر أحاديث أم سلمة وعلي وأبي سعيد وجابر وقد تقدم ذكرها في هذا الكتاب.

فلو كان الشيخ عداب قرأ هذا الكلام لوفر على نفسه توجيه هذا الانتقاد بغير وجه حق، ولوفر على ناشر كتابه هذه المساحة التي شغلها الشيخ بكلام غير صحيح، ولأنقذ قراء كتابه من هذا التحامل الباطل، ونسأل الله العافية.

كل هذه الأمثلة تدل دلالة واضحة أن الشيخ عداب الحمش ضعيف الفهم لما يقرأ، قليل الاستيعاب لما ينقل عن الأئمة والعلماء سريع الإنكار والتشكيك في نقول الآخرين ولو كانوا من كبار الأئمة ولقد صدق القائل:

من كان هذا القدر مبلغ علمه   فليستتر بالصمت والكتمان

وأنصح كل من أراد اقتناء شيء من كتابات الشيخ أن لا يكتفي بنقوله حتى يرجع إلى مصادره بنفسه فالشيخ قد أثبت أنه لايمكن الوثوق بنقله نفيا ولا إثباتا، ونسأل الله العافية.

(يتبع)

☆☆☆

(١) آسف، ويبدو أن الشيخ وجد مشقة كبيرة في العثور على هذه الأحاديث في تلك الكتب المطبوعة، على الرغم من أن المطبوعات الحديثة تصدر مزودة بفهارس علمية متنوعة تسهل الرجوع إليها، وهذا دليل آخر على عدم صبر الشيخ على البحث العلمي والاستفادة من المراجع.

بحوث ودراسات

أهمية المسجد في حفظ الأمن الاجتماعي

فضيلة الشيخ الدكتور محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي
المدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المسجد مأرز الإيمان وموئل المسلم ومنارة التقوى وعنوان الأمن والسلام والسلامة والهدى وبيت المسلمين عامة ومكان تعليمهم وتهذيبهم وتربيتهم ومظنة كسب الحسنات والتخلص من السيئات، لذلك كان سببا في توطيد الأمن والاستقرار بين أفراد المجتمع، وخاصة إذا كان الإمام متسلحا بالعلم والأخلاق والحذق في توصيل المعلومات والتوجيهات على غرار قوله تعالى ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة﴾.

وبما أن رسالة المسجد خالدة خلود رسالة الإسلام فقد انعقدت عدة مؤتمرات للمسلمين ومنها (المؤتمر الذي أقامته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت تحت عنوان المسجد بيت الله وعنوان وحدة الأمة) كان هذا البحث المتواضع الذي أحببت أن أشارك به زملائي في المؤتمر ولإدلائي بما عندي في هذا الموضوع المهم، وفي الحقيقة فإني حضرته على أنه محاضرة غير مكتوبة، وفي آخر الوقت أخبرت أنه ينبغي أن يكون موضوع المحاضرة مكتوبا، وأستسمح القائمين على المؤتمر، والمشاركين، والقراء فيما يقع من قصور أو تقصير لما كتبت.

النقطة الأولى: معنى الأهمية: لم أقف عليها بهذا المعنى في معاجم اللغة التي رجعت إليها وجاء في معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة. (١)

(١) لمحمد عدنان، ص ٧٠٣.

ويقول ليس الجرح بذي أهمية والصواب ليس الجرح بذي خطر، أو بذي شأن، أو الجرح لا يخشى منه ولم أعثر على كلمة أهمية في أي معجم، مع أن كثيرا من كتابنا الشهورين استعملوها ومنهم المنفلوطي، ولما كانت هذه الكلمة ضرورية لنا ولمالم أجد كلمة خيرا منها تترجم بها كلمة (Imporiane) الإنجليزية والفرنسية فإني أقترح على مجامعنا الموافقة على استعمالها لأن أمهات المعاجم من الإنجليزية إلى العربية تقول: إن معنى الكلمة السابقة هي "لزوم"، "عظم"، "ضرورة" "قيمة" "عظم شأن"، لا تؤدي المعنى الذي تؤديه كلمة "أهمية".

النقطة الثانية: المسجد لغة: مَفعِل بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح: اسم للمصدر قال أبو زكريا الفراء: كل ما كان على فعَلَ يفعُلُ كدخل يدخل، فالمفعل منه بالفتح اسما كان، أو مصدرا ولا يقع فيه الفرق مثل: دخل مدخلا، ومن الأسماء ما ألزموها كسر العين منها: المسجد المطلع المغرب، والمشرق وغيرها، فجعلوا الكسر علامة للاسم وربما فتحه بعض العرب قد روى المسجد، والمسجَد والمطلِع والمطلع قال: والفتح في كله جائز وإن لم نسمعه، وفي الصحاح: والمسجَد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود، وفي تثقيف اللسان للصقلي: ويقال مسيد بفتح الميم حكاه غير واحد، وعلى ما تقدم يكون فيه ثلاث لغات المِسجد بكسر الميم الخُمرة وهي الحصير الصغير وفتحها ومسيد ... (٢) وفي القاموس: سجد خضع وانتصب وأسجد طأطأ رأسه وانحنى ......، وفي المفردات: السجود أصله التطامن والتذلل وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته وهو عام في الإنسان والحيوانات والنباتات والجمادات وذلك ضربان: سجود باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وحده وبه يستحق الثواب قال تعالى: "فاسجدوا لله واعبدوا" أي تذللوا وسجود تسخير وهو للإنسان والحيوانات والنباتات والجمادات قال تعالى: ﴿يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ وقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ الآية.

---

(٢) إعلام الساجد ص ٢٦ – ٢٧. (٣) القاموس ج ١ ص ٣٠٠.

والمراد بالسجود هنا هو الانقياد الكامل، لا سجود الطاعة الخاص بالعقلاء ......(٤)

المسجد شرعا: هو "كل موضع من الأرض" قال ﷺ: "**جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**"، وهو من خصائص هذه الأمة، لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، وخصت هذه الأمة بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنت نجاسته، وقيل: هذا ما خص به محمد ﷺ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كالبيع، والكنائس.(٥)

ولما كان السجود من أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه، فقيل مسجد، ولم يقولوا: مركع، ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى إن المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها يخرج من لفظ المسجد عند الإطلاق، ولا يأخذ حكمه، وكذلك الربط، والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك.

النقطة الثالثة: معنى "حفظ" قال في معجم مقاييس اللغة: الحاء، والفاء، والظاء، أصل واحد يدل على مراعاة الشيء، يقال: حفظت الشيء حفظا، والغضب: الحفيظة، وذلك أن تلك الحال تدعو إلى مراعاة الشيء يقال للغضب: الإحفاظ، يقال: أحفظني أي أغضبني. والتحفظ: قلة الغفلة، والحفاظ: المحافظة على الأمور. (٦)

وفي لسان العرب: وحفظ المال والسر حفظا: رعاه، وحفظت الشيء حفظا أي: حرسته.(٧)

النقطة الرابعة: معنى الأمن الاجتماعي: وهو مكون من موصوف ووصف، فلابد من تعريف كل منهما، فمعنى "الأمن" جاء في معجم مقاييس اللغة: "أمن" الهمزة، والميم، والنون: أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة. ومعناها: سكون القلب، والآخر: التصديق. (٨)

وفي المصباح المنير: "أمن" زيد الأسد "أمنا" و "أمن" مثل: سلم منه وزنا ومعنى، والأصل أن يستعمل في سكون القلب، يتعدى بنفسه وبالحرف، ويعدى إلى ثان بالهمزة،

(٤) فتح القدير للشوكاني ج ٣ ص ٤٤١.
(٥) المرجع السابق.
(٦) انظره ج ٢ ص ٨٧.
(٧) لسان العرب ج ٧ ص ٤٤١.
(٨) لسان العرب ج ١ ص ١٣٣.

فيقال: "آمنته" منه، و "أمِنته" عليه بالكسر، و "أتمنته" عليه، فهو "أمين"، وهو "مأمون" الغائلة أي: ليس له غور، ولا مكر يخشى. (٩)

وقال الراغب: أصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمن، والأمانة، والأمان في الأصل: مصادر، ويجعل الأمان تارة: اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان نحو قوله تعالى ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ (١٠) أي: ما ائتمنتم عليه. (١١)

ومعنى: "الاجتماعي" أن الأمن منسوب للاجتماعي وموصوف به وهو: ضد الافتراق، والإجماع: الاتفاق، والعزم، واجتمع ضد تفرق، كأجمع، وتجمع، واستجمع ...... الخ. (١٢)

وفي عصرنا الحاضر تكونت أجهزة عديدة للمحافظة على المجتمعات، وتأمين سلامة الفرد، والجماعة على أنفسهم، وذويهم، وممتلكاتهم، وسمي بعض هذه الأجهزة بالأمن وحرصت أجهزة الأمن هذه في كل دولة ومجتمع أن تأخذ بالأسباب التي تطمئن الفرد، وتشعره بالاهتمام به بحسب متطلبات هذا الأمن، فوضعت النصائح واتخذت الحيطة، وتكونت الأجهزة، والأعمال السرية، والعلنية، وابتكرت النماذج للمحافظة، وللاهتمام، مع الحيطة في محاربة الطرق المؤدية لذلك فهذا هو الأمن الاجتماعي، والذي يدخل تحته: حفظ المجتمع من انتشار الجريمة بالقتل، وغيره، حتى لا يطغى قوي على ضعيف والمجتمع الإسلامي قد حفظ أمنه بالقصاص، والحدود، والتعزيرات .... الخ. (١٣)

شأن المسجد "منزلة المسجد عند المسلمين وفي الشريعة" وفيه أربع نقاط:

النقطة الأولى: فيما تعلق بالمسجد الحرام، والمسجد الأقصى

لقد بوأ الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

مكان البيت فقال: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتي

(٩) لسان العرب ج ١ ص ١٧.
(١٠) سورة الأنفال: ٢٧.
(١١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٥.
(١٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٥.
(١٣) مجلة مجمع الفقه ١٢ / ١٤١٢ هـ ومجلة البحوث الإسلامية ١٧ / ١٧٣ والحضارة الإسلامية ٥ / ٢٨٨ ومجلة البيان ١٦٧ / ١٤١.

للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ (١٤).

أي: واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباء ة أي: مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة قائلين له أن لا تشرك بي شيئا ﴿وطهر بيتي﴾ من الأصنام والأقذار ﴿للطائفين﴾ لمن يطوف به ﴿والقائمين﴾ والمقيمين بمكة ﴿والركع السجود﴾ المصلين جمع راكع. (١٥)

وقال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾. (١٦)

يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون إليه، ويعتكفون عنده ﴿للذي ببكة﴾ يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام. (١٧)

وقال تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾ (١٨) أي: انتعاشا لهم في أمر دينهم ونهوضا إلى أغراضهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم، قيل لو تركوا عاما لم ينظروا ولم يؤخروا .... (١٩)

وقال تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (٢٠) المراد بالبيت الكعبة غلب عليه كما غلب النجم على الثريا، ومثابة مصدر ثاب إذا رجع، وقيل من الثواب أي يثابون هنالك، وقيل: المراد لا يقضون منه أوطارهم، وأمنا: هو اسم مكان أي: موضع أمن، واستدل به بعض العلماء على أن الحد لا يقام في مكة يؤيده ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ وقيل إن ذلك منسوخ .... (٢١)

ومعنى عهدنا هنا أمرنا وأوجبنا، ومعنى أن طهرا بأن وقيل مفسرة والمراد بالتطهير قيل من الأوثان وقيل من الآفات والريب وقيل من الكفار وقيل من النجاسات وطواف الجنب

(١٤) سورة الحج الآية: ٢٦.
(١٥) تفسير النسفي ج ٤٣٥.
(١٦) آية (٩٦) آل عمران.
(١٧) تفسير ابن كثير رحمه الله ج ١ ص ٣٨٣.
(١٨) سورة المائدة (٩٧)
(١٩) تفسير النسفي ج ١ ص ٤٧٨ ي.
(٢٠) البقرة الآية: ١٢٥.
(٢١) فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٢٠٣.

والحائض وكل خبيث، والصحيح أن التطهير يشمل الجميع، وإضافة البيت في قوله بيتي إضافة تشريف، والطائف الذي يطوف به وقيل الغريب الطارىء على مكة، العاكف المقيم وقيل هو المجاور دون المقيم من أهلها، والركع السجود المصلون وخص هذين لأنهما أشرف أركان الصلاة. (٢٢)

وقال تعالى: ﴿ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾ (٢٣) أي لا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أي يتهاونوا بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسّكين بها ...... الخ. (٢٤)

المراد لأن البيت الحرام هو المسجد الحرام وأن الناس تأتيه ابتغاء ما عند الله من الأجر وقبول الحج والعمرة منهم ورضوانه عنهم ولشهود المنافع التي ذكرها الله في قوله ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ...... ﴾ (٢٥)

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال المسجد الحرام، قلت ثم أي قال المسجد الأقصى، قلت وكم بينهما قال أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجدا فحيثما أدركتك الصلاة فصل فيه، فإن الفضل فيه، وقد بوأ الله مكان المسجد الأقصى ليعقوب ابن اسحاق عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام (٢٦) وأول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء بناه عمار بن ياسر. (٢٧)

وذكر السمهودي أن أول من بنى مسجد قباء رسول الله ﷺ. (٢٨)

النقطة الثانية: فيما يتعلق بمسجد النبي ﷺ أو مسجد قباء

وكذا بوأ الله نبيه محمدا ﷺ مكان مسجده لما ورد من أن النبي ﷺ لما قدم على المدينة من هجرته كان كلما مر على حي من أحياء المدينة قالوا: يا رسول الله ﷺ: ههنا، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنها مأمورة "يعنى ناقته القصواء" حتى بركت على باب أبي

(٢٢) المرجع السابق ص ٢٠٦.
(٢٣) المائدة، الآية: ٢.
(٢٤) تفسير النسفي ج ١ ص ٤٢٤.
(٢٥) الحج الآية ٢٨.
(٢٦) إعلام الساجد ص ٢٩ – ٣١.
(٢٧) المرجع السابق ص ٣١.
(٢٨) وفاء الوفاء ص ٢٥٢.

أيوب الأنصاري. (٢٩)

وفي رواية: "حتى إذا أتت دار بني النجار بركت على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار ...... الخ. (٣٠)

وفي روايه أخرى: فلما بكرت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل، فسارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها فتحلحلت، وأرزمت، ووضعت جرانها، فنزل عنها رسول الله ﷺ، فقال: "هذا المنزل إن شاء الله" وتلى قوله تعالى ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ (٣١)، فنزل عنها رسول الله ﷺ وهويقول: ﴿رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين﴾ (٣٢).

وجاء في تفسير الطبري عند تفسيره لآية الإسراء: جعل الله مدخل صدق المدينة، ومخرج صدق مكة، وسلطانا نصيرا: الأنصار. (٣٣)

وقال تعالى: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ قال ﷺ: هو مسجدكم هذا .. (٣٤) وفي لفظ: اختلف رجلان من بني خدرة وفي لفظ تماريت أنا ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال العمري: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن ذلك فقال: هو هذا المسجد لمسجد رسول الله ﷺ فقال: في ذلك خير كثير، يعني مسجد قباء. (٣٥)

النقطة الثالثة: فيما يتعلق بالمساجد عموما:

وقد بوأ الله تعالى بعد ذلك للمسلمين أمكنة مساجدهم بتوفيق منه تعالى لهم باختيار المكان للمسجد وتقسيم تلك المساجد إلى مساجد تصلى فيها الجمع، ومساجد أحياء تصلى

(٢٩) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٦ ص ٤٣، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٧٧، والكامل لابن عدي ج ٢ ص ١٧٠.

(٣٠) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٩٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٧٢.

(٣١) الإسراء آية (٨٠)   (٣٢) المؤمنون آية (٢٩)

(٣٣) انظره ج ٨ ص ١٣٥، وانظر السمهودي في خلاصة الوفاء ج ٢ ص ١٥وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٣.

(٣٤) خرجه مسلم رقم: ١٣٩٨.   (٣٥) انظر: الدر المنثور ج ٧ ص ٥٢٧ – ٥٢٩.

فيها بقية الصلوات المكتوبة، وتقام فيها الأنشطة العلمية، والدعوية، والوعظية، والثقافية، والتوجيهية ...... إلى غير ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى، ولا شك أن جميع المساجد هي مثل المساجد الثلاثة إلا فيما ورد فيه النص بخصوصيتها هي ومسجد قباء، مثل مضاعفة الأجر لمن صلى في المسجد الحرام وأن الصلاة فيه بمائة ألف، وأنه قبلة المسلمين وأنه من شعائر الحج، والعمرة، والنسك ...... الخ وكذلك المسجد النبوي بألف صلاة، وأن النبي ﷺ حرمه كما حرم إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مكة، وما ورد في المسجد الأقصى من أن الصلاة فيه بخمس مائة صلاة وما ورد في مسجد قباء من أن من صلى فيه ركعتين كان له كأجر عمرة ...... الخ فبقية المساجد مضافة إلى الله ويجب تطهيرها للمصلين والعاكفين والركع السجود والمتعلمين وأنها أفضل بقاع الأرض ...... الخ قال تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (٣٦) وقال: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾. (٣٧)

وقوله: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ (٣٨)

وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ (٣٩)

وقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ (٤٠)

وقوله: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾ (٤١)

وقوله: ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ (٤٢) وقوله: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (٤٣)

(يتبع)

☆☆☆

(٣٦) سورة الجن: ١٨.
(٣٧) البقرة آية: ١١٤.
(٣٨) التوبة الآية ١٧.
(٣٩) التوبة الآية: ١٨.
(٤٠) الحج الآية ٤٠.
(٤١) النور الآية ٨٧.
(٤٢) الأعراف الآية ٢٩.
(٤٣) الأعراف الآية ٣١.

بحوث ودراسات

الإجماعات التي انتقدها العلامة الألباني رحمه الله

(٨) **الشيخ محمد أسلم المدني المباركفوري**

متى يجوز إتيان الحائض إذا طهرت؟

اتفق الفقهاء على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا تحل حتى يغتسل بالماء، أو يتيمم– إن تعذر ذلك عليها بشرطه. هذا الإجماع حكاه ابن جرير الطبري (١) وابن كثير (٢).

وقال ابن المنذر: وهذا كالإجماع منهم (٣).

ونفى الخلاف فيه أحمد بن محمد المروزى، وقال: لا أعلم فيه خلافا. (٤)

وحكى اسحاق بن راهويه إجماع علماء التابعين عليه. (٥)

لكن هذا الاتفاق المذكور غير صحيح، كما قال الألباني (٦)؛ لوجهين:

الوجه الأول: لوجود الخلاف فيه، فإن أبا حنيفة– رحمه الله– يقول فيما إذا انقطع دمها لأكثر الحيض– وهو عشرة أيام عنده– أنها تحل بمجرد الانقطاع، ولا تفتقر إلى غسل، وإن انقطع لدون ذلك لم يبح حتى تغتسل. (٧)

وبه قال أبو يوسف و محمد (٨).

---

(١) جامع البيان (٤/٣٨٤، ٣٨٥) بتحقيق أحمد محمد شاكر.

(٢). تفسير القرآن الكريم(١/٣٩٠)

(٣) الأوسط (٢/٢١٤)، والشرح الكبير (٢/٣٧٢)

(٤)المغنى (١/٢٤٧)

(٥) شرح الزرقاني على المؤطا (١/١١٧)

(٦) آداب الزفاف (ص١٢٦)

(٧) الهداية (١/٧٥)

(٨) الاختيار (١/٣٢).

رجح الإمام أبوحنيفة مذهبه بأن لفظ "يطهرن" في قوله تعالى: ﴿حتى يطهرن﴾ هو أظهر في الطهر الذى هو انقطاع دم الحيض منه في التطهير بالماء. ووجه ذلك: أن الله تبارك و تعالىٰ اشترط لحل إتيانهن أن يتطهرن وهواستعمال الماء، وهو أمر زائد على طهرهن في الحيض، فلا يجوز إلغاء هذا الشرط أو تخصيصه بما إذا انقطع الحيض قبل العشرة، لأن ما قبل العشرة لايحكم بانقطاع الحيض لاحتمال عود الدم؛ فيكون حيضا، فإذا اغتسلت أو مضى عليها وقت صلاة دخلت في حكم الطاهرات، وما بعد العشرة: حكمنا بانقطاع الحيض؛ لأنها لورأتِ الدم لا يكون حيضاً، فلهذا حل وطؤها.

قال الألباني: هذا رأي لأبي حنيفة – رحمه الله – بدا له. ولا يجوز لنا الأخذ به لمخالفته إطلاق الآية، وهو – رحمه الله – قد قال فيما صح عند: ولا يحل لأحد أن يقول بقولنا مالم يعلم من أين أخذناه، فإننا بشر، نقول اليوم ونرجع عنه غدا، (١). فكيف يجوزلنا الأخذ بقوله، وقد علمنا مخالفته للدليل. (٢) ولهذا وصفه ابن حزم بأنه " لا قول أسقط منه لأنه تحكم بالباطل بلا دليل أصلاً، ولا نعلم أحدا قاله قبل أبي حنيفة ولا بعده إلا من قلده" (٣)

وقال ابن عبدالبر: وهذا الحكم لاوجه له. (٤)

وقال القرطبي: وهذا تحكم لاوجه له. (٥)

وقال ابن رشد: وأما اعتبار أبي حنيفة أكثر الحيض فى هذه المسألة فضعيف.(٦)

وقال السيد رشيد رضا: وهو تفصيل غريب.(٧)

(١) صفة صلاة النبى (ص٤٧)
(٢) آداب الزفاف (ص١٢٧)
(٣) المحلى (١٠/ ٨١)
(٤) الاستذكار (٣/ ١٨٩) و شرح الزرقاني (١/ ١١٧)
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٨٩)
(٦) بداية المجتهد (١/ ٥٩)
(٧) المنار (٢/ ٣٦٠)

وقد خالف الحنفية الجمهور من السلف والخلف، منهم المالكية (١) والشافعية (٢) والحنابلة (٣) فقالوا: لا يجوز وطء الحائض حتى تغتسل.

واختاره ابن المنذر (٤) وابن قدامة (٥) وأبوعوانة (٦) والماوردي (٧) ومجد الدين أبوالبركات (٨) وشيخ الإسلام ابن تيمية (٩) وابن قيم الجوزية (١٠) واختاره أيضا زفر من الحنفية (١١)

وسبب خلافهم:

الاحتمال الذي في قوله تعالىٰ: ﴿فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ (١٢) هل المراد به الطهر الذي هو انقطاع دم الحيض، أم الطهر بالماء، ثم إن كان الطهر بالماء فهل المراد به طهر جميع الجسد، أم طهر الفرج. فإن الطهر في كلام العرب وعرف الشرع اسم مشترك يقال على هذه الثلاثة المعاني. (١٣)

والدليل على أن المراد بالتطهر: الوضوء فقط. هو قوله ﷺ في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: " من تطهر في بيته، ثم مشىٰ إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من

(١) المدونة الكبرى (١/١٦٦) والكافي (١/١٥٦)
(٢) الأم (١/٢٠٨) و أحكام القرآن (١/٥٢)
(٣)مسائل أحمد برواية الكوسج (١/٣٠٦) وابن هانئ (١/٣١)
(٤)الأوسط (٢/٢١٥) والإشراف (١/٣٥٨)
(٥) المغنى (١/٢٤٧)
(٦) المسند (١/٢٦٤)
(٧) الحاوي الكبير (١/٣٨٦)
(٨) المحرر فى الفقه (١/٢٦)
(٩) مجموع الفتاوىٰ (٢١/٦٢٦) والمصرية (ص٣٧)
(١٠) بدائع الفوائد (٣/١٢٥٣)
(١١) الاختيار (١/٣٢)
(١٢) البقرة (٢٢٢)
(١٣) بداية المجتهد (١/٥٨) وراجع: نيل المرام (١/١٤٩)

فرائضِ الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرىٰ ترفع درجة"(١)

قوله: من تطهر: أي: توضأ. (٢)

وفي مثل المعنى الثاني وهو: غسل الفرج بالماء، نزل قوله تعالىٰ: ﴿لمسجد أسس على التقوىٰ﴾(٣) فقد صح أنه لما أنزلت هذه الآية قال ﷺ لأهل قباء: "إن الله تبارك و تعالىٰ قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فى قصة مسجدكم. فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟ قالوا: والله يارسول الله، مانعلم شيئا، إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا.(٤)

---

(١) أخرجه مسلم (٦٦٦/٢٨٢).

(٢) منة المنعم (٤٢٠/١)

(٣) التوبة(١٠٨)

(٤) أخرجه أحمد (٤٢٢/٣) وابن خزيمة(٤٥/١ برقم (٨٣) والطبري في جامع البيان (٢٣/١١) والطبراني في الكبير (١٤٠/١٧ برقم ٣٤٨) وفي الأوسط. كما في مجمع البحرين (٢٩٨/١ برقم (٣٥٧) وفي الصغير (٢٣/٢) و أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (٤٨٤/٣ برقم (٥٣٤٢–٥٣٤٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٣٠٤/٤).

قال الطبراني: لا يروى عن عويم بن ساعدة إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو أويس. ١هـ وفيه ضعف مشهور لخصه الحافظ في التقريب (ص٣٠٩/٣٤١٢) "صدوق يهم" وصححه ابن خزيمة ، وقال الحاكم: إسناده صحيح، ووافقه الذهبى. بل إسناده ضعيف لأن شرحبيل بن سعد ضعيف. وقال الحافظ في التقريب (ص٢٦٥/٢٧٦٤) "صدوق اختلط بآخرة" . وقال في التهذيب (٣٢٢/٤) في ترجمته: وفي سماعه من عويم بن ساعدة نظر؛ لأن عويما مات في حياة رسول الله ﷺ، ويقال: في خلافة عمر رضي الله عنه، وهوالصحيح، ويؤيده أنه وقع في الصحيح (٦٨٣٠) من طريق الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس عن عمر في حديث السقيفة. قال عمر: فلقينا رجلان صالحان من الأنصار. وزاد الاسماعيلي – كما في الفتح ١٢/١٥٦– في روايته: قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير أن الرجلين الذين لقياهما، هما: عويم بن ساعدة ومعن بن عدي. انظر: الإصابة (٦٠/٣). وأخرجه ابن أبي شيبة (١٧٩/١) ثناهشيم بن بشير عن عبد الحميد بن جعفر بن مجمع– بضم الميم الأولى وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة. بن يعقوب بن مجمع أن رسول الله ﷺ قال لعويم بن ساعدة: ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم؟ قالوا: نغسل الأدبار.

هذا ضعيف لإرساله وعنعنة هشيم.

قال عنه الحافظ: كثير التدليس، والإرسال الخفي. التقريب (ص٥٧٤/٧٣١٢).

والحديث له شاهد من حديث أبى هريرة، أخرجه أبوداود (٤٤) والترمذي (٣١٠٠) وابن ماجه (٣٥٧) والبيهقي (١٠٥/١) وصححه الألباني في صحيح أبى داود (١١/١) وصحيح ابن ماجه (٦٣/١) بشواهد فيه يرتقي إلى درجة الحسن. انظر مفصلا في الإرواء (٨٥/١).

وقد استعمل التطهر بنفس هذا المعنى في حديث عائشة – رضي الله عنها – أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمر ها كيف تغتسل، قال: خذي فرصة من مسك، فتطهري بها. قالت : كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها. قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري، فاجتذبتها إليّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم. (١)

وفي مثل المعنى الثالث وهو غسل جميع البدن، قوله ﷺ في حديث سلمان رضي الله عنه: ما من رجل يتطهر يو م الجمعة كما أمرتم يخرج من بيته حتى يأتي الجمعة......(٢)

الوجه الثاني:

إن ثلاثة من كبار علماء التابعين: مجاهد وعطاء وقتادة (٣) – كما قال الألباني – (٤) وهو قول عكرمة وطاووس والأوزاعي (٥) وأبي سليمان و أصحاب الظاهر، منهم أبومحمد بن حزم (٦) قالوا: بجواز إتيانها، ولولم تغتسل. واختاره الألباني، وقال: إنما خيرنا بين أن تغتسل الدم أو تتوضأ أو تغتسل؛ لأن اسم التطهر يقع على كل من هذه الأمور الثلاثة.(٧)

قال العلامة ابن حزم: والوضوء تطهر بلا خلاف، وغسل الفرج بالماء تطهر كذلك،

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤) ومسلم(٣٣٢/٦٠)

(٢) أخرجه النسائي (١٠٤/٣) و أحمد (٤٣٩/٥) والحاكم (٢٧٧/١) وقال: صحيح الإسناد. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٥/٢) وصحيح الترغيب والترهيب (٤٣٢/١) . ورواه الطبراني في الكبير (٢٣٧/٦ برقم ٦٠٨٩) بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع(١٧٧/٢)

ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن عمر: من جاء منكم الجمعة فليغتسل. أخرجه البخاري (٨٩٤) ومسلم (٨٤٤/٢)

(٣) رواه ابن حزم عن عطاء و قتادة (٨١/١٠) . ورواه ابن أبى شيبة (١/ ١١٩) عن هشيم عن ليث عن عطاء وطاووس بسند ضيعف. وقال ابن المنذر في الأوسط (٢١٤/٢): لم يثبت رواية ليث بن أبي سليم. وأنكره الدارمي في سننه (٢٥١/١) ...... وقد ورد عن عطاء و طاووس و مجاهد خلاف ذلك، وسيأتي.

(٤)آداب الزفاف (ص١٢٦)

(٥) بداية المجتهد (٥٨/١)

(٦) المحلى (٨١/١٠)

(٧) آداب الزفاف (ص١٢٨)

وغسل جميع الجسد تطهر. فبأي هذه الوجوه تطهرت التي رأت الطهر من الحيض. فقد حل به لنا إتيانها. (١)

رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– ورجح عدم الوط ء إلا بعد الاغتسال، فقال: وقد قال بعض أهل الظاهر المراد بقوله: ﴿فإذا تطهرن﴾ أي: غسل فروجهن، وليس بشئ؛ (٢) لأن الله تعالىٰ قد قال ﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ فالتطهر في كتاب الله تعالى هو الاغتسال و أما قوله ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ فهذا يدخل فيه المغتسل والمتوضيء والمستنجي، لكن التطهر المقرون بالحيض كالتطهر المقرون بالجنابة، والمراد به: الاغتسال. (٣)

قال ابن رشد : ظهور لفظ التطهر في معنى الاغتسال هو الدليل عليه. (٤)

وقد رجح الجمهور مذهبهم بأن صيغة التفعل إنما تنطلق على ما يكون من فعل المكلفين لا على ما يكون من فعل غيرهم، فيكون قوله تعالى: ﴿فإذا تطهرن﴾ أظهر في معنى الغسل بالماء منه في الطهر الذي هو انقطاع الدم، والأظهر يجب المصير إليه حتى يدل الدليل على خلافه. (٥)

وقال ابن عباس : ﴿ حتى يطهرن﴾ أي: من الدم ﴿ فإذا تطهرن ﴾ أي: بالماء، وكذا قال مجاهد و عكرمة والحسن و مقاتل بن حيان والليث بن سعد وغيرهم.(٦)

وثبت عن مجاهد أنه قال في الحائض ينقطع عنها الدم: لا يأتيها حتى تحل لها الصلاة. (٧)

(١) المحلى (١٠/ ٨٢) وانظر: (٢/ ١٧١-١٧٢) وتفسير الطبرى (٤/ ٣٨٤)

(٢)الفتاوى المصرية (ص٣٧)

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢١/ ٦٢٦)

(٤) المغني (١/ ٢٤٧) وبداية المجتهد (١/ ٥٨)

(٥)تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٠)

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه (١/ ١١٩) والدارمي (١/ ٢٤٩) وابن المنذر في الأوسط (٢/ ٢١٤) وصححه. وأخرجه عبدالرزاق (١/ ٢٥٦) بلفظ: لا تحل لزوجها حتى تغتسل.

وعن عبدالله بن أبى بكر أن سالم بن عبدالله و سليمان بن يسار سئلا عن الحائض هل يصيبها زوجها إذا رأت الطهر قبل أن تغتسل؟ فقالا: لا، حتى تغتسل.(١)

وعن عطاء أنه سئل عن الحائض أنها ترىٰ الطهر، ولم تغتسل، أتحل لزوجها؟ فقال: لا، حتى تغتسل. (٢)

ويزداد هذا الترجيح قوة بما ذكره ابن منظور، فقال: طهَرت المرأة وطهُرت وطهِرت: اغتسلت من الحيض وغيره. وطهُرت المرأة، وهي طاهر: انقطع عنها الدم. ورأت الطهر فإذا اغتسلت؛ قيل تطهرت واطهرت، قال الله عزوجل: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ وروى الأزهري(٣) عن أبي العباس أنه قال في قوله عزوجل: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ وقرأ ﴿حتى يَطَّهَّرن﴾.

قال أبو العباس: والقراء ة "يطهرن" لأن من قرأ ﴿يطهرن﴾ أراد انقطاع الدم، فإذا تطهرن: اغتسلن؛ فيصير معناهما مختلفاً. والوجه أن تكون الكلمتان بمعنى واحد، يريد بهما جميعا الغسل ولا يحمل المسيس إلا بالا غتسال، وتصدق ذلك قراء ة ابن مسعود﴿حتى يَتَطَهَّرن﴾ وقال ابن الأعرابي: طهَرت المرأة، وطَهُرت، فإذا تطهرن: اغتسلن. وقال: تَطَهَّرتِ المرأة: اغتسلَتْ. (٤)

☆☆☆

(١) أخرجه مالك فى الموطا (١/٧٥) بلاغاً، وعنه البيهقي (١/٣١٠) وسنده ضعيف لانقطاعه. وأخرجه ابن أبي شيبة (١/١١٩) بسند ضعيف أيضا. وأخرجه محمد بن الحسن الشيباني في موطئه (١/٣١٩-٧٤) عن مالك: أخبرنى الثقة عندي عن سالم بن عبد الله و سليمان بن يسار، فذكره. وهذا سنده ضعيف، وأخرجه عبدالرزاق (١/٢٥٦) عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر به بسند صحيح، وابن أبي شيبة (١/١١٩) وابن المنذر في الأوسط (٢/٢١٤) وصححه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١/٢٥٦).

(٣)تهذيب اللغة (٦/٩٩)

(٤) لسان العرب (٤/٥٠٤-٥٠٥)

شخصية اسلامية

العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومي
وجهوده في التحقيق العلمي

د. جمال الدين الفاروقي
الأستاذ المشارك في كلية WMO ، ويناد، كيرالا

توفي مؤخرا العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومي الذي كرس حياته في التحقيق العلمي وخدمة اللغة العربية، غفر الله له، وأدخله فسيح جناته، وأجزل له المثوبة، وهذه المقالة إطلالة على حياته وجهوده الطيبة في التأليف والبحث العلمي.

هو من مواليد آل معصوم، والده مولانا محمد أمير الحسن البيهاري، المشهور بين معاصريه في الفقه والفتاوى والعلوم الإسلامية ببلاد إله آباد وداكه وكلكته. ومنه تلقى أبومحفوظ الأدب العربي وعلوم الفقه والأصول والحديث والتفسير والفلسفة، وحفظ الأشعار العربية من دواوين المتنبي والحماسة ودواوين شعراء الجاهلية، فنما ذوقه الأدبي وملكته في الفصاحة والبيان والأسلوب، ثم التحق بالمدرسة العالية واستفاد من الأستاذ عبد الرحمن الكاشغري الندوي والأستاذ شمس العلماء ولاية حسن والمفتي عميم الإحسان البركتي، ونال شهادات عديدة لتفوقه ونبوغه.

وبعد تقسيم الهند انتقلت المدرسة العالية من كلكتا إلى داكه، فذهب إليها وتعلم اللغة الإنجليزية ونجح في الامتحان الداخلي للعلوم الجديدة، ثم عين أستاذا للغة العربية والعلوم الإسلامية في المدرسة التي أنشأتها الحكومة الهندية بالاسم نفسه في مدينة كلكتا، وبعد تقاعده من المدرسة العالية خدم العلوم الإسلامية والآداب العربية، وعمل في تحقيق المخطوطات والتنقيب عن المؤلفات الإسلامية والعربية.

مؤلفاته:

كان رحمه الله صاحب قلم سيال في اللغة العربية والأردوية والفارسية، وكان هو الساعدَ الأيمن للشيخ أبي سحبان روح القدس في تأليف كتابه روائع الأعلاق في شرح

تهذيب الأخلاق، ويكفي له فضلا أنه أثرى المكتبة الإسلامية بعمله الرائع 'بحوث وتنبيهات'. وهذا الكتاب المؤلف من مجلدين، مجموعة نصوص محققة ومقالات نقدية لكتب ودواوين وبحوث قيمة تتناول موضوعات علمية وأدبية وتاريخية نشرت في مجلات هندية مختلفة خلال السنوات الخمسين الماضية. فقد حقق فيه النصوص ونبه على أغلاط المحققين والمؤلفين، واستدرك ما فاتهم في تحقيقهم، كما فعل في كتاب سمط اللآلي للأستاذ المحقق عبد العزيز الميمني، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ومثلما أورده من التنبيهات في قصيدته الرائية في ذكرى العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وفي قصيدة العروس وما قام من التحقيقات النادرة في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، وديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، وديوان ابن مقبل، وروائع نادرة من شعر جميل بثينة بتحقيق الدكتور حسين نصار. ويشتمل المجلد الأول على قسمين:

١ – النصوص المحققة:

ومن النصوص المحققة شرح الألفات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنصاري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، حققه الأستاذ المعصومي عن نسخة محفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية (Asiatic Library) بمدينة كلكتا. ومنها رسالة "مسألة الذاكرين والمتفكرين" لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤١٢ هـ، حققها عن نسخة محفوظة في إحدى المكتبات الشخصية بمدينة كلكتا، كما حقق الأستاذ المعصومي ثلاث رسائل للمرتضى الزبيدي: رسالة بعنوان القول المسموع في الفرق بين الكوع والكرسوع، وأرجوزتين نادرتين من نوادر المخطوطات المحفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية.

٢ – البحوث والمقالات:

ويحتوي هذا القسم على ١٦ بحثا ومقالة في الموضوعات المتنوعة في علوم الحديث والتاريخ والفلسفة واللغة والأدب والقانون، ومن أهمها بحث عن أبي علي الهجري، وكتابه التعليقات والنوادر، هو بحث علمي قدمه في مؤتمر المستشرقين في دهلي عام ١٩٦٤م، ونشره أولا في مجلة الدراسات الإسلامية، ثم نشر الأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب عام ١٩٧٠م، وقد أشاد فيه بالجهود المخلصة التي بذلها المعصومي في التحقيق، كما ورد فيه بحث عن المرتضى الزبيدي البلكرامي صاحب تاج العروس شرح القاموس، وهو من أبحاثه البارزة، يناقش

فيه حياته وآثاره ويتحدث عن مولده ببلكرام الهند، وتاريخ ورود الأسر العثمانية والصديقية والسادات الواسطية إلى هذه المنطقة، معتمدا على المصادر التاريخية العربية والفارسية.

بحثه عن شاناق الطبيب الهندي:

يتناول هذا البحث شخصية شاناق الطبيب الهندي المشهور الذي عاش في المائة الرابعة قبل الميلاد، ويعد من أعلام الهند في الطب وغيره من العلوم، وقد ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه طبقات الأطباء بين أطباء الهند المشهورين فقال: " كانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب وتفنن في العلوم والحكمة، وكان بارعا في علم النجوم وحسن الكلام ومقربا لدى ملوك الهند ". وقد اعترف العرب بفضله وتفوقه في العلوم والحكم ونقلوا عددا من مؤلفاته إلى العربية. ومنها كتابه السموم الذي نشره أوغست مولر عام ١٨٨٠م في إحدى المجلات، والشاناق كتاب مشهور في السياسة والنظم الإدارية يسمى ارتها شاشترا، حققه المحقق الهندي الشهير شاما شاسترى ونشره عام ١٩٠٩ . وقد عرض الأستاذ المعصومي شخصية شاناق من خلال دراسته للمصادر العربية وتحقيقات المستشرقين والمتأخرين من الباحثين الهنود، وأفاض في الحديث عن منكه الذي ترجم كتابه " السموم " من الهندية إلى الفارسية، وكان طبيبا في البلاط العباسي، دعاه هارون الرشيد لعلاجه لما يئس من أطباء بلاطه، فجاء ه من الهند وعالجه فشفي، فأعطاه الخليفة الهدايا والجوائز.

ومن البحوث المفيدة في هذا القسم بحثه عن " نسب قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب وإسلام سلفه" وقد رد فيه على الدكتور بدوي طبانه، وبحثه عن "نسب كعب بن زهير" الذي ناقش فيه آراء ابن سلام في طبقات فحول الشعراء وتبعه ابن قتيبة في نسب كعب بن زهير.

مقالتان عن أمير خسرو وميرزا غالب:

وتشتمل المقالتان على ترجمة منظومة لمجموعة من أشعار أمير خسرو المتوفى سنة ٧٢٥ هـ، والشاعر ميرزا غالب المتوفى سنة ١٢٥٨ هـ، وكان خسرو من عباقرة الهند وقد برزت عبقريته في عدة مجالات، فيها الموسيقي والشعر، وكان من كبار شعراء الفارسية في الهند، وإليه يرجع الفضل في وضع اللغة الأردية، أما ميرزا غالب فهو من كبار شعراء الأردية وصاحب الغزل المشهور، ونقل الأستاذ المعصومي مقطوعات وأبياتا من روائع شعرهما إلى العربية.

الشبهات والاستدراكات:

الجزء الثاني من كتابه " بحوث وتنبيهات " يشتمل على قسم التنبيهات والاستدراكات، ويضم الدراسات النقدية الموسعة لمؤلفات جليلة في علوم الحديث والتراجم واللغة والأدب والدواوين الشعرية، كتب معظمها كبار المحققين والعلماء الأجلاء من أمثال العلامة عبدالعزيز الميمني والأستاذ أحمد راتب النفاخ.

ومن أهمها دراسة حول كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي، ولم يصدر من مخطوطات الكتاب إلا ثلاثة مجلدات، أولها بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد والثاني بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري. فتناولها الأستاذ بالبحث والتدقيق وقيد عليها ملحوظاته الثمينة التي جاء ت في مائة وخمسين صفحة. (١)

وله كذلك دراسة بعنوان طرز اللآلي وسمطها الغالي، وتشتمل على مائة صفحة، وهي نظرات الأستاذ في كتاب سمط اللآلي الذي حققه الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني، والدراسة الثانية من مجموعة الميمنيات حول ديوان حميد بن ثور الهلالي الذي نشرته دار الكتب المصرية عام ١٩٥١ م، بتحقيق الأستاذ الميمني. فاستدرك عليه الأستاذ المعصومي بعنوان تقييد الفائت من شعر حميد بن ثور الهلالي، وألحق بها أبياتا استخرجها من أمهات الكتب مع التنبيه على الهفوات التي وقعت في الكتاب، والمجموعة الأخيرة من التنبيهات والاستدراكات " تفاريق العصا "، تضم خمس مقالات حول ديوان ابن الدمينة بتحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ، وديوان جميل بتحقيق الدكتور حسين نصار وديواني ابن مقبل وبشر بن أبي خازم بتحقيق الأستاذ عزة حسن، وكتاب الأشباه والنظائر للسيوطي.

وصدر هذا الكتاب عن دار الغرب في بيروت بعناية من الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي الندوي الباحث في مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض.

وكان العلامة المعصومي عضوا بارزا لمجلس ندوة العلماء التنفيذي وفي مجمع دار المصنفين بأعظم كره، وعضوا في الجمعية الآسيوية بكولكاتا.

أشعاره:

بجانب تحقيقه وبحوثه كان العلامة المعصومي شاعرا مطبوعا، قرض الشعر في

(١) نشرت هذه الدراسة في مجلة الجامعة السلفية في (١٩) حلقة في ١٣٩٦ هـ، ١٣٩٧، ١٣٩٨هـ. (الأعظمي)

مختلف المناسبات، ومنها قصيدته في ذكرى خدا بخش خان مؤسس خزانة الكتب العمومية الشرقية في مدينة بانكي فور. وهي أكبر المكتبات الهندية من حيث عدد المخطوطات العربية والإسلامية، والمركز المشهور للمؤلفات النادرة. وقد برزت إلى حيز الوجود من مجموعة الشيخ مولوي محمد بخش الذي كان أديبا وكان شغوفا بجمع الكتب والمخطوطات النادرة، وقد جمع ألفا وأربع مائة مخطوطة نادرة ومؤلفات أخرى، ولما كان طريح الفراش عام ١٨٧١ م وكل هذه المجموعة إلى ابنه خدا بخش وأوصاه بأن يفتح مكتبة عامة حيثما يتيسر له، وكان هو الآخر مولعا بجمع الكتب وكرس حياته في خدمة الأمة وأخذ على عاتقه رسالة والده في تأسيس مكتبة عامة، وهكذا حقق أحلام والده ونفذ وصاياه. فهذه القصيدة قرضت في ذكراه وهي كما يلي:

خزانة بانكي فور للنسخ الغرّ ... أتت غرة زهراء في جبهة الدهر
خدا بخش خان الفرد، جماع ذخرها ... على ذروة المجد استوى نابه الذكر
تسامى على الأقران في فعلاته ... سقى الله مثواه بمنهمر القطر
جزاه إله الخلق عنا مثوبة ... مباركة، طول الأصائل والبكر
فلم يلف، أي والله هيمان مثله ... بأعلاق زبر يقتنيها مدى العمر
أحب الثقافات القويمة مغرما ... بأسفارها من كل قطر إلى قطر
تصدى لجمع الكتب وهي روائع ... لأهل النهى، فوق اليواقيت والدر
بهمته تشدو، يد الدهر، داره ... بأبلغ ما في الوسع للشاعر المطري
كفى أهل بيهار بأن يتفاخروا ... بها ومبانيها العظيم بلا نظر
تحبيهما الدنيا، وأول ' مجمع ' ... بكلكتا، قد حيا هما بحلى الشعر
قلائد شعر 'أسيوي' زهتها ... بأبهى لغات الأرض ضادية النجر
أحاول أن أدعى خدا بخش خانيا ... إذا اجتمعوا للسبق في حلبة الفخر
تطاوعني الفصحى إذا رمت وصفه ... فقد جئت في الفصحى صريع بني فهر
لقد طال تكلافي بآيات مجده ... وبيض أياديه وبالنسخ الغر
ولم أنس 'بيدارا' وأعوانه معا ... إذا قمت صداحا بمستوجب الشكر
حكوا أنجما زهراء، وذاك خلالهم ... حكى القمر السارى مع الأنجم الزهر

☆☆☆

العالم الإسلامي

مكة المكرمة مدينة العلم والثقافة

الدكتور محمد سليم
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

إذا ذكرت مكة المكرمة هشت لذكرها نفوس المسلمين وهوت إليها قلوبهم، وتفجرت عواطفهم الدينية والثقافية نحو منزل الوحي ومهبط النور، وانبعثت مشاعر المسلمين جميعا نحو هذا المكان المبارك الذي شهد أمجد فترات حياتهم في التاريخ، حيث تمّ لهم الهدى، والتأمت لهم الوحدة، وقامت على أيديهم أعظم دولة حققت مبادىء الإخاء والعدالة والمساواة بين الناس تحت راية الإسلام، وكانت هذه أول دولة إنسانية وثقافية على الأرض، تحقق بقيامها ما وصف الله به المسلمين إذ يقول: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾. (١)

فمكة المكرمة لها أهمية دينية وعلمية وثقافية منذ أقدم العصور حين تلقى سيدنا ابراهيم عليه السلام أمر ربه بأن يرفع القواعد من البيت ويطهره للطائفين والركع السجود، ودعوة إبراهيم عليه السلام لربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى ذريته من الناس وأن يتكفل برزقهم، كلها يدل على علاقة مكة بالوافدين إليها علاقة أم بأبنائها. يفد الناس إليها ليربطوا أفئدتهم بها، فهي مهوى أفئدة المؤمنين، ودعوته أيضا أن يجعل منه ومن ذريته أمة مسلمة لله، وأن يبعث فيهم ومنهم رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة، وغيرها من دعوات أطلقها إبراهيم عليه السلام.

مكة المكرمة تنزلت فيها أولى كلمات الوحي على النبي ﷺ في غار حراء تدعو إلى القراء ة والكتابة وأدواتها. وهذه الدعوة كانت ايذانا بميلاد مكة الثقافية والتعليمية التي

---

(١) الدكتور أحمد شريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص: ج .

أفاض عليها نور الوحي فأضاء ت سماء الدنيا وأرضها في مشارق الأرض ومغاربها (٢)، كانت مكة المكرمة ذات أهمية كبيرة كذلك من وجهة الدراسات الحضارية قبل الإسلام كما كان بعده، إذ فيها تلاقت الوثنية واليهودية والنصرانية، وقد كانت للاحتكاك بين هذه الديانات أثره من غير شك قبل ظهور الإسلام وعند ظهوره وبعده. (٣)

وعلى ضوء هذا وغيره بمقدورنا القول إن المنطقة كانت ذات أهمية كبيرة من وجهة الدراسة الحضارية. فيها تلاقت في الماضي الوثنية واليهودية والنصرانية وعاشت على أرضها هذه المعتقدات المتناقضة جنبا إلى جنب في مواضع معينة، وعند امتداد الفتوح العربية أوجد الاحتكاك التجاري والتعامل بين سكان هذه المنطقة وبين من يتعاملون معهم من أهل الجنوب أو أهل الشمال آثارا فكرية وحضارية من غير شك. ولأهمية هذه المنطقة، حاول اليونان والرومان بعد استيلائهم على الشام ومصر مرارا الاستيلاء على الحجاز ليتمكنوا بذلك من الوصول إلى اليمن غير أن محاولاتهم لم تنجح (٤)، فمكة المكرمة هي مهوى أفئدة المؤمنين وبلد الله الأمين والعاصمة الدينية والثقافية والاجتماعية لبلاد المسلمين ومستقر وحدتهم ومجمع أخوتهم، وهي المثل والقدوة وقلب كل مسلم.

ومن جوانبها الثقافية والتعليمية الهامة الاتصال والتواصل بين المسلمين خلال موسم الحج والزيارة في الحلقات والدروس العلمية التي كانت تقام في المسجد الحرام والمدارس والأربطة وأمكنة المشاعر، وكان من روادها مشاهير العلماء، دارسين ومدرسين، ولعظم المدارسة في هذه الأماكن كان طلاب العلم أشد حرصا في قدومهم إليها، بل منهم من كان يريد الحج وينشط إليه رغبته في طلب العلم على مشاهير علمائها، أو على يد عالم مشهور انتشر صيته في البلاد، أو جرى ذكره بين طلبة العلم، أو سمع بقدومه الحج في سنة

(٢) مجلة الحج والعمرة: مجلة شهرية تصدر عن وزارة الحج، السنة الثانية والستون، العدد الخامس، جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ ص: ٥٢ .

(٣) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨ ، ص: و.

(٤) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، دار الهلال مصر، ص: ١١٥ .

من السنين، خاصة لدى طلاب العلم النجباء الذين تعودوا على الأسفار لتحصيل معارفهم على العلماء الكبار الذين قدروا العلم في أهله حق قدره، وهؤلاء لم ينقطعوا في سنة من السنين بدليل أن مكة لم تتوقف فيها عجلة المسيرة العلمية لأن العلم دين ولا دين بلا علم.

ساهمت مكة المكرمة بعلمائها والوافدين إليها بدور قيادي في الحفاظ على تراث الإسلام ولغة القرآن وعلى قيام العدالة وتقديم مكارم الأخلاق التيجاء النبي ﷺ واستحقت عن جدارة أن تكون مهد الثقافة والتعليم للأمة المسلمة. (٥)

ولذلك فقد نهض شيوخها وشبابها على التعليم مبتدئين بالقراء ة والكتابة والقرآن الكريم وعلومه، ومدارسة ما حفظوا من آياته على مشاهير الصحابة وكبار المهاجرين، وغص بهؤلاء وأولئك المسجد الحرام في حلقات علمية رائدة، يدرس ويعظ ويحدث فيها أشهر العلماء، وهذه الحلقات واللقاء ات والمناظرات العلمية كانت تشهدها مكة بين مشاهير الأئمة والعلماء الذين لم تمكنهم الظروف من الاجتماع ببعضهم في غيرها.

ومتابعة لسير الدراسة في الحلقات العلمية بالمسجد الحرام نقول: "إن المدارسة فيها كان يسودها روح النظام والجد والمثابرة والصبر والفهم المتبادل بين العالم والمتعلم على حد سواء، أيضا مواد الدراسة كان تسير وفق ارادة الطالب، أو رغبة العالم الذي كان يقوم بإلقاء الدروس على طلبته ويقرر ما يريد تدريسه، أيضا الطالب يختار شيخه وما يرغب مدارسته، وهذا مدرك بالطبع من خلال تراجم العلماء الذين لم يكتفوا بتحصيل معارفهم على شيخ واحد، بل على كثير من مشاهيرهم في مكة أو غيرها مهما بعدت أوطانهم أو تعددت مشاربهم، فكثيرا ما أكدوا معارفهم في أكثر من علم على أكثر من شيخ أو جد، أو سمع بقدومه إلى مكة أو المدينة أو غيرها. (٦)

لذا نجد أغلبهم يميل إلى أن يحشوا في مصنفه أكثر من علم وحديثنا عن براعتهم

---

(٥) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص: ز.

(٦) مجلة الحج والعمرة: العدد الخامس، ص: ٥٣.

على هذا النحو يقودنا إلى الحديث عن نوعية ما يدرسون، ومن يتابع سيرتهم في المصادر يتأكد أن هذه العلوم لم تكن محصورة في العلوم الشرعية بل شملت كل علم يفيد عامة المسلمين. (٧)

فبعد هذه اللمحات العابرة أستطيع أن أوكد أن ثقافة مكة المكرمة وازدهارها يكمن في الحلقات العلمية والثقافية وعند ما نطالع المصادر الهامة في هذا الصدد نجد بأن مكة المكرمة قد شهدت أنشطة علمية أدبية ضخمة تجلت في حلقات علمية حول المسجد الحرام، كحلقة الحبر والبحر، ترجمان القرآن، عبد الله بن عباس (ت ٦٨٨ م) التي رجت أرجاء المسجد الحرام بكثرة رواد العلم الذين قصدوها من بلاد بعيدة ولثراء ها وسمعتها التي طبقت الآفاق، ومساهمتها في ثقافة مكة، فقد امتدت إلى الطائف والمدينة وغيرهما حيث ازدهرت الحلقات العلمية في جنباتها وفيها امتدت أنشطتها العلمية والأدبية، لها دور هام في التجمع والتوجيه والقيادة. (٨)

اشبعت رغبة رواده وبث فيها علما جما، وحمل عنه من صفوف علمه أعداد كبيرة من أبناء تلك البلاد والوافدين إليها، وليس أدل على غزارة علمه من وصفه بترجمان القرآن، ومن حضروا في حلقات عبد الله رضي الله عنه العلمية شهدوا بنوعية ما استفادوامن علمه وقد أدركنا ذلك من خلال ثناء بعضهم عليه، فقد قال عبيد الله ابن عبد الله بن مسعود فيه: "ما رأيت أحدا أعلم من ابن عباس بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولا أفقه منه، ولا أعلم تفسير القرآن والعربية والشعر والحساب والفرائض منه، وكان يجلس يوما للتأويل ويوما للفقه، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لأيام العرب، وما رأيت قط عالما جلس إليه الا خضع له، ولا سائلا سأله إلا أخذ عنه علما". (٩)

(٧) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص: س.

(٨) مجلة الحج والعمرة: العدد الخامس، ص: ٥٢ – ٥٥.

(٩) أحمد أمين: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص: ١٧٠ – ١٧٦.

ازدهرت الثقافة والتعليم بمكة من خلال روادها العلماء الذين تفاعلوا بشتى معارفهم ومختلف فنونهم، واستفادوا وأفادوا عن طريق ملازمتهم لأهل الفضائل، ومن خلال مواهبهم العلمية، منهم الذين اتخذوا من جوار البيت الحرام ومن مجاورة قبر النبي ملجأ يلوذون به، ويجعلون من أنفسهم امتدادا لعصر الفتيان الزاهدين من أصحاب النبي من أمثال معاذ بن جبل وأبي بكر وعلي وعمر وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان وأبي الدرداء وعبد الله بن عمر وعمرو بن العاص، وخصص كثير منهم نفسه للدرس والمدارسة والتعليم، فنشأ في المدينتين الحجازيتين مدرستان للتفسير والحديث والفقه والأدب والمغازي والسير، وقد بدأت مدرسة المدينة تتكون منذ كانت دارا للهجرة النبوية وموطنا لصحابة رسول الله الذي أخذوا عنه وسمعوا منه، اشتهر فيها كثير من الصحابة والعلماء كعلي وعمر، ولكن أشهر من امتاز بالعلم وتخصص للحياة العلمية وكثر بها أصحابه وتلاميذه، منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر الخطاب رضي الله عنهما، ومن مدرسة المدينة تخرج كثير من التابعين، فمن أشهرهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ثم ابن شهاب الزهري وأخيرا أنجبت مدرسة المدينة مالك بن أنس امام دار الهجرة، وبدأت مدرسة مكة بمعاذ بن جبل حين أبقاه النبي بعد الفتح يعلم أهلها ويقرئهم القرآن الكريم، ثم علم عبد الله بن عباس بمكة في أخريات أيامه، وإليه يرجع الفضل فيما كان لمدرسة مكة من شهرة علمية، وأشهرها من تخرج فيها من التابعين مجاهد بن جبر مولى ابن مخزوم، وعطاء بن أبي رباح مولى ابن فهر، وطاووس بن كيسان وهو من أبناء الفرس في اليمن، إنه أدرك كثيرا من الصحابة وأخذ عنهم، ثم انقطع لابن عباس وكان من خاصة تلاميذه ثم كان من سادات التابعين، وفي مدرسة مكة نشأ الإمام الشافعي يأخذ الحديث والفقه عن علمائها حتى بلغ العشرين فتحول إلى المدينة يتم فيها دراسته، هكذا كانت في مكة المكرمة حياة علم وزهد وورع، قال الشافعي عن مالك وسفيان الثوري "لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز".

اتسعت ثقافة مكة المكرمة وازدهرت مجالاتها العلمية بمنافسة العلماء الذين حرّضوا على الحلقات العلمية الجامعة منهم الفقيه والمفتي كأبي علي ناصر بن عبد الله بن حاتم

المصري الذي دخل مكة سنة ٥٧٠ ه وأقام بها حتى وفاته مشغولا بالعلم، تحصيلا وتدريسا من خلال ملازمته لمشاهير العلماء في مجالسهم العلمية، أخذ عنه المشاهير من العلماء وتألق بمعارفه بين أوساط المجاورين وحجاج بيت الله الكريم وحمل سماعا عنه وقراء ة عليه عدد كبير من أبناء البلد الأمين والوافدين إليه وغيرهم. وتأكدت الحركة الثقافية في مكة المكرمة أكثر حينما انضم إلى صفوفهاكبار العلماء الذين اسعدوها على مدى نصف قرن من الزمان أو يزيد بمختلف علومهم مثل محمد التكريتي الشافعي (ت ٦٠٣ ه) وفترة اقامته كانت حافلة بالعطاء الوافر من خلال حلقاته العلمية التي بث فيها معارفه تحديثاوتدريسا. ومن علماء ها البارزين القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الذي حجّ مرات واستقر بمكة مجاورا منذ عام ٧٣٤ ه وبكثرة أنشطته ومصنفاته واشتغاله بالعلم ازدحم الناس على حلقاته العلمية وأفاد بمكة خلقا كثيرا من الوافدين والمجاورين، وعلى نسقه ابنه عز الدين الذي لم يخن في قضائه سلطانا، فيدل على غزارة علمه وشغله بالتعليم من أن شيوخه بالسماع والاجازة يزيدون على ألف وثلاث مائة شيخ وامتدت حلقاته العلمية من المسجد الحرام إلى أمكنة المشاعر، وله وقع كبير في النفوس عند الخاصة والعامة.

خلاصة القول: ففي مكة المكرمة نبتت بذرة النهضة العربية عن طريق التعليم والثقافة حتى نمت فشملت الجزيرة العربية كلها، ثم امتدت بفروعها وظلالها فشملت العالم المتحضر القديم من حولها، وقبيلة قريش في مكة المكرمة هي التي انبتت هذه البذرة قبل ظهور الإسلام، ثم بعث النبي ﷺ من قريش وكان من أبناء ها كبار الصحابة الذين جاهدوا معه فأقاموا دولة الإسلام، وكان منهم الخلفاء والقواد الذين ثبتوا الدولة وحملوا النهضة وحملوا الرسالة الإسلامية إلى العالم، فأهل مكة المكرمة وعلماء ها هم قادة النهضة التعليمية والثقافية والحضارية التي بدأت تباشيرها قبل الإسلام، واستمرت مكة المكرمة في دورها في الطليعة في المجال الحضاري والثقافي بعد الإسلام وفيالعصرين الأموي والعباسي حتي إلى يومنا هذا.

☆☆☆

المجلة تهدف إلى

☆ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الإسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية.

☆ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمباديء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

☆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

☆ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الإسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

☆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

☆ التوجيه الديني السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.

عـــدد صفحـــات الجـــزء: ٦٠